قصص

اللحد والرحم

حسنى خضر

الطبعة الأولى
الكتاب : اللحد والرحم
المؤلف : حسنى خضر
تصنيف الكتاب : قصص قصيرة
تصميم الغلاف : محمد جمال
إخراج : احمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٦٢٧٨ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 089 - 8

دار يسطرون

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى زمن مضى ولن يعود ، يسكن ذكرياتنا وتظل أرواحنا تهفو إليه ،تردد في ألم وأمل أنشودة الحلم المستحيل :

كل شئٍ صار مرًّا في فمي ... بعدما أصبحت بالدنيا عليما

آه من يأخذ عمري كله ... ويعيد الطفل والجهل القديما

مفتتح

ما لايحيا لايموت... وما لايموت لايحيا

سر الحياة

أقبلت عليه ببهاء نوراني وناولته كأسا كانت تمسكه بأناملها الرقيقة ..ابتسمت، فارتشف بضع قطرات ...دونما سابق إنذار اختفت وظل عبيرها الأخاذ دليلا له وهو يجوب البحار والفيافي بحثا عنها.

مصير

أي أيـام أودت بـه إلى هـذا المصـير؟!!.. أي شـيطان حطَّـم الحلـم ونسـف الأمـل فـكان هـذا اليـأس الـذي اسـتبان مـن تجاعيـد وجهـه؟!.. أهكـذا تكـون النهايـة؟!! ممـدداً فـوق أريكـة في حديقـة عامـة... ملتحفـا السـماء .. وبعـض عمـلات حقـيرة تُلقـي في غـير اكـتراث بجانبـه دونمـا الالتفـات إليـه .. يـا للأقـدار!! ربمـا كان في صبـاه مدلـلاً .. مرفهـاً.. وفي شـبابه ذا شـأن .. أهكـذا تعبـث بنـا الأيـام! مـن النقيـض إلى النقيـض .. أي أمـان إذن نخالـه موجـوداً بيننـا؟!.. كان السـكون باديـاً عليـه مـن شـعر رأسـه إلى إخمـص قدميـه مـن يـدري؟! ربمـا كانـت هنـاك أعاصـير مـن مشـاعر شـتى تعبـث بعقلـه وقلبـه ... عندمـا خلـت نفـس ألقـى مصـيره شـعرت بانزعـاج وقشـعريرة .. كـم مـن وقـت ظللـت أراقبـه؟ .. لا أعـرف .. كان مـا يـزال سـاكناً عندمـا اقتربـت منـه في خطـوات بطيئـة وألقيـت بجانبـه عملـة ورقيـة ثـم واصلـت المسـير.

ترقب

كأنـي ملـك مخلـوع .. اعتليـت قمـة صخـرة تقـاوم ضربـات الأمـواج المتلاطمـة المتتابعـة وكأنـي أعتلـى عرشـي المسـلوب، وظللـت بعيـداً عـن أعـين العابثـين. أراقـب أفـول الشـمس وكأنـي أراقـب أفـول أيـام عمـري ... كانـت الشـمس تلملـم شـعاعاتها المتناثـرة بينمـا كان الشـاطئ الرملـي يناجـي ميـاه البحـر وحيـداً إلا مـن بعـض الصبيـة المتناثريـن هنـا وهنـاك يشـيدون قصـورًا مـن الرمـال تعبـث بهـا الأمـواج الصغـيرة فيشـيدونها مـن جديـد ... كـم تمنيـت أن أجيـب نـداء طفلـي.. ! يـا لهـا مـن أمنيـة عابثـة .. محالـة التحقيـق ... هكـذا لم يبـق أمامـي إلا الذكـرى .. مـا أشـقاها بـي ومـا أشـقاني بهـا.. مثلهـم كنـت أهـوى الأحـلام فتهـوي بهـا الأيـام ... صـراع لم تدركـه هدنـة ... وتناقـض لم يعـرف الانتصـار أو أمـل الانتصـار .. هكـذا هـي رحلـة الأيـام ... رحلـة الدفـن المسـتمر لآمالنـا وآلامنـا .. ملامحنـا وحياتنـا.. كانـت رحلـة الشـمس قـد شـارفت علـى النهايـة عندمـا ثـار البحـر علـى سـكونه فهاجـت مياهـه تبغـي زلزلـة عرشـي الـذي مـازال يقـاوم تمـرد الزمـن ..ومـا زال الصبيـة يواصلـون تمردهـم ضـد ميـاه البحـر

بينما كانت الشمس تستعد لرحلة سبات في أعماق المياه ... كأني أحسبه غروباً بدون شروق، فقد شعرت بخوف يتسلل حثيثاً إلى ظاهري وباطني عندما أدركت مدى استحالة أن ألبي نداء طفلي بالعودة إليه.

ريبة

ارتبت فلم أتيقن، ولم تستطع النفس المرتابة أن تركن إلى أحدهما دون الآخر.. عقل يرفض أية تفسيرات أخرى لما أوحته إليه ظواهر الأحداث.. وقلب أبى أن يتكلم إلا صامتاً... إن في صمته حديثه. ما ينطق برهبانيتها.. وفي خفقانه ما يذكرني بتحديها العالم من أجلي.. ريبة عصفت بحياتي الهادئة ثم صراع أبَى أن تكون له نهاية حتى ولو كانت مؤلمة.

ليال أمضيتها هائماً على وجهي.. باكياً على عمري الذي أفنيته في إخلاص.. ثائراً على سكوني .. أيعقل أن يتحول قلب الراهبة إلى قلب غانية.. أن يصبح همسها لعنات تلعنني وتلعن أيامي معها ... كيف أمكنها أن تحمل بين جوانبها النقيضين من المشاعر ... كيف استطاعت أن تجعل مني قزماً وعملاقاً في آن؟! وكيف لم أتبين إلى لحظتي تلك، الزيف من الحقيقة؟! عندما ضاعت ملامح الحقيقة أمام عينيَّ..ضاعت ملامح الطريق تحت أقدامي، كانت الليلة الأولى التي تنبهت فيها إلى أرقى .. سألتها

لماذا؟!!.. ارتسمت على وجهها أمارات الاندهاش .. لم أنتظر رداً على سؤالي المبتور، فقد كانت يداي تلتفان حول عنقها بينما عيناي تحملقان في الماضي السعيد .. لم تبد مقاومة، لم تحاول أن تدفع يديَّ بعيداً.. عندما تشبثت عيناها بعينيَّ في الرمق الأخير .. كان في صمت عينيها ما ينطق بجوري عليها.

شرنقة

كان ضوء الشمس الزاهي من جملة الأشياء التي كانت تجلب له الأسى فتفعم نفسه بجم الآلام ،ولذلك فإنه ماكادت الشمس تلملم شعاعاتها المتناثرة هنا وهناك بغية الرحيل حتى شعر بالغبطة تملأ نفسه، وبأسارير السعادة تتبدى على قسمات وجهه... يبد أن تلك السعادة لم تكن لتظهر إلا له هو .. هو فقط .. إذ لم يعهد عليه أحد ممن قاده قدره أن يلتقي به أن يرى هذه الابتسامة على وجهه المكتئب دائماً... حتى جدران غرفته ذات الطلاء الأصفر الفاقع لو قُدر لها أن تتزحزح برهة عن صمتها لأقسمت أنها لم تلحظ تلك السعادة إلا داخله فقط ،إذ لم يحدث أبداً أن انعكست هذه السعادة الداخلية خارجياً عليها فيزينها ببعض اللوحات الجميلة بدلاً من تلك اللوحات القبيحة والتي تصور أشكالاً دموية لصارع قد طرحه ثوره الهائج أرضاً.

وأخرى لفناء واسع تخلفت فيه جثث قتلى معركة لم تدرجها كتب التاريخ المزيفة منها والحقيقية ضمن ما أدرجت من معارك.

وكثيراً ما تساءلت مدام "جورجيت" الأرملة اليونانية ذات الخمسة والستين عاماً وصاحبة البنسيون الذي يقيم في إحدى غرفه – في استحياء وتردد شديدين – بعد أن تنتهي من تنظيف غرفته بمساعدة خادمتها ذات العشر سنوات بينما هو في أحدى أركان الغرفة قابعا على كرسيه يراقبهما وقد أسدل الستارة السميكة على النافذة عن سر إعجابه بهذه الصور التي تبعث في نفسها الخوف عندما تنظر إليها بجانب عينيها.

أبداً لم تنس مدام "جورجيت" ولا خادمتها الصغيرة التي أصيبت بالهلع انتفاضة الأستاذ "باسم" من على كرسيه وقد ارتسمت على وجهه كل أمارات الغضب الشديد والتي تجلت في اصطباغة بمزيج من اللونين الأحمر والأسود وعيناه وقد بددتا وكأنهما خاليتان من الحياة وصوته الأجش وقد صرخ فيهما:

– لا تتدخلي فيم لا يعينيك .. اهتمي فقط بشئونك!!

للحظات بدت مدام "جورجيت" وكأنها تمثال من الجرانيت إذ وقفت صامتة لا يصدر عنها صوت أو حركة ،وقد التصقت بها الفتاة الصغيرة الخائفة.. بيد أنها استطاعت بعد ثوان قليلة أن تمتص مفاجأة الرد الذي كان أشبه بالصاعقة على سؤالها الذي ظنته سؤالاً بريئاً ،كانت تقصد به في حقيقة الأمر استدعاء حوار

معه تحطم به جدار الصمت الذي أحاط به نفسه منذ قدومه منذ شهر تقريباً، فبادرت بالاعتذار ثم انصرفت على عجل ..!

أتم الليل زحفه على البقية الباقية من ضوء النهار فأصبح الضوء المنبعث من الأباجورة ينساب - لخفوته - في بعض جوانب الغرفة دونما البعض الآخر فبدا الأثاث القليل المتناثر في الحيز الضيق كأشباح تود لو واتتها الفرصة للهروب من ذلك الحصار المحكم حولها بدءاً من الباب الموصد إلى النافذة المغلقة والستارة السميكة المسدلة على الرغم من الرطوبة الشديدة ووصولاً إلى الأستاذ "باسم" وسيجارته التي تنبعث منها خيوطا رفيعة من الدخان تتموج وتتمايع في صعودها إلى سماء الغرفة.

وكأنه قد أحس بكل ذلك بينما هو جالس إلى مكتبه يرسم أشكالاً لا تحمل معنى لها في حقيقة أو في خيال جامح ودوائر متداخلة لن تعني لمن يراها - قبل أن يمزقها الأستاذ "باسم" إلى قطع صغيرة مثلما يفعل كل ليلة قبل أن يلقى بها في غير اكتراث إلى سلة المهملات - سوى أنها نتاج عقل مخبول أو طفل عابث، فقد قام إثر نوبة سعال انتابته إلى النافذة يزيح الستارة السميكة عنها ناشداً بعضاً من الهواء النقي. غير أنه على عكس ما توقع فقد كاد يصم أذنيه ذلك الضجيج الهادر المنبعث من

السيارات والحافلات ورياح العوادم التي زكمت أنفه فأضاعت ما كان ينشد، وسرعان ما انسحب إلى الداخل مرة أخرى بعد أن أحكم إغلاق النافذة وإسدال الستارة السميكة عليها!

وعندما عاد إلى المكتب الخشبي الذي ابتاعه مؤخراً لم يجد أدنى متعة في العودة إلى سالف ما كان يمارسه من عبث .. ولما لم يجد بداً عاد إلى ممارسة تلك اللعبة السخيفة التي يمارسها كل ليلة فأخرج مسدسه من الدرج العلوي وأخذ يصوب منه طلقات على اللاشئ !!.

آنذاك كان في قرارة ذاته يتمنى لو كان تلك الرصاصات حقيقية لتميت هؤلاء "الشرذمة" ،كما كان دائماً وأبداً يطلق عليهم .. كانوا – بالنسبة له – مصدر تعاسته وشقائه فمنهم الأب الذي تنصل منه صغيراً على كتفى أمه التي سرعان ما ضافت بحمله الثقيل فوق كاهلها فما كان منها إلا أن أودعته أحد الملاجئ بعد أن تزوجت ورحلت إلى مكان لم يعلمه أبداً حتى بعد أن هرب من الملجأ تتقاذفه السنون فتضمه وتربت عليه يد حانية تارة وتصفعه يد قاسية تارة أخرى، حتى استقر به المطاف في وظيفة إدارية بإحدى المصالح الحكومية ساعده في الحصول عليها مخدومه الثري متعدد الصلات.!!.

ولقد أتاحت له هذه الوظيفة احتكاكاً دائماً مع هؤلاء "الشرذمة" ليصب عليهم نار سخطه وكراهيته وحقده الدفين لأبويه فكان دائم التأخير لمصالحهم التي يبغون إنجازها ولطالما تطور النقاش بينه وبين أحد مريديه إلى شجار وتشابك بالأيدي يخرج منه ذلك الثائر على مصالحه بإصابة ظاهرة فيسرع الأستاذ "باسم" إلى مخدومه السابق – في ذلة وخضوع – ينشد تدخله وإنقاذه الموقف بعد أن يقسم بأغلظ الإيمان بأنه برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب مما يُنسب إليه، فما يكون من المخدوم وقد رق قلبه لخادمه الذي تعهده في بدء شبابه إلا أن يحاول تسوية الموقف قدر المستطاع .. غير أن ذلك لم يفلح أبداً في أن ينيئ الأستاذ "باسم" عما اعتاد عليه إذ إنه بتعاقب الأيام زاد حنقه وسخطه على الجميع بما فيهم مخدومه الذي طالما أحسن إليه ،ولعله قد أحس ذلك فتنصَّل من مساعدته بعد أن تبين له أن سالف ما فعله معه قد غدا هباءً، وأنه لن تجدي معه محاولات أخرى.

هكذا .. لم يسلم من لعنته أحد حتى هؤلاء الذين يقطنون معه نفس المكان.. كان يرى فيهم شبح العدو المجهول الذي يتربص به ويطارده في سباته قبل يقظته فكان شديد الحرص في تعامله معهم منذ اليوم الأول لمجيئه، فلم يسمح لأحدهم أن يُقحم نفسه عليه، وكان نادراً ما يلقي عليهم تحية صباح أو مساء،وإن

ألقاها فكأنها اللعنة يلقيها عليهم لتصيبهم في مقتل.

ولما تتابعت الأيام تحمل في تتابعها معنى التشابه لتكتمل شهراً أيقن قاطنو البنسيون استحالة التعامل الودي مع ذلك "الفظ" -كما أصبحوا يطلقون عليه- فآثروا الابتعاد عنه.. غير أن ذلك الابتعاد ظل ناقصاً لوجود الأستاذ "باسم" بينهم فكان حديثهم في أمسياتهم التي يهربون خلالها من التفكير اليائس في شظف الحياة يتطرق دوماً إلى الأستاذ "باسم"، وإلى هالة الغموض التي يحيط نفسه بها وباب غرفته الموصد دائماً... ولما تظل أسئلتهم الفضولية خرساء بلا إجابة فإنهم كانوا يشرعون في استئناف ما قد توقفوا عنده من مادة حديث أو لعب ..

كان الأستاذ "باسم" في تلك الليلة مثل غيرها من الليالي أرقاً لا يدري سبيلاً للتخلص من ذلك الأرق الذي يلازمه منذ نعومة أظافره .. حاول استدعاء النوم ففشل لأرقه من ناحية وضحكات قاطني البنسيون من ناحية أخرى.

كانت تلك الضحكات هي أكثر الأشياء إيلاماً له إذا إنها كانت تؤرقه في مضجعه وتجعله يشتعل داخلياً فكان يتمنى لو أنه خرج إليهم وأمسك بخناق كل واحد منهم... ولما كان يصعب عليه ذلك فقد كان يتسلل أحياناً خلسة إلى المطبخ حيث

توجد الوصلات الكهربائية الرئيسية فيشرع في سرعة فائقة كالفهد فيفسد منها ما يستطيع إفساده قبل أن يلحظه أحد.

وعلى الرغم من أن تلك الفعلة – والتي كانت تحيل البنسيون المضيء إلى الظلام الدامس الذي يعشقه – كانت لا تستمر إلا الفترة التي يتم فيها إحضار المختص ليصلح ما قد عطب عمداً فإنه كان يشعر بسعادة جمة وقد توقف الأصدقاء عن اللعب وأثيرت دقائق من إرتباك بين بقية قاطني البنسيون.

إن هي إلا دقائق حتى عادت الضحكات قادمة من أعماق القلب عندما عاد التيار الكهربائي يغمر المكان بالحياة... عندئذ شعر الأستاذ "باسم" وكأنه يختنق فبادر بالخروج من سجنه الصغير إلى سجنه الكبير تشيعه ضحكات الأصدقاء اللاهين كأنما تسوطه على ظهره بسياط من تهكم وربما من شفقة.

عندما قادته قدماه إلى كوبرى قصر النيل صدمت عينيه صور العشاق المتناثرين على جانبي الكوبرى تصدر عنهم تلك الضحكات التي تمزقه تمزيقاً، وأحياناً يسودهم الصمت فيظنه بدء خلاف فيغبط، ولكنه سرعان ما يدنو منهم فإذا به يدرك أن صمتهم ما هو إلا همسات دافئة ينزعج منها فيمضي في طريقه الذي لا يعلم نهايته يتأمل في حقد ا

حتـوى كل كيانـه كل الصـور الـتي تتعاقـب علـى عينيـه.. وعندمـا حـل بـه التعـب وأدركـه الإعيـاء جلـس إلى مقعـد رخامـي في بقعـة خافتـة الضـوء يتأمـل عـن كثـب حـال حياتـه.

في لحظـة نورانيـة لم يحـاول، بـل ربمـا لم يسـتطع أن يمنعهـا أن تهـرب مـن كهفـه الباطـني المظلـم تسـاءل إلى أي مـدى يمكنه أن يسـتمر هكـذا محتويـاً كل ذلـك الحقـد مدفوعاً بقوى لا شـعورية تحطمـه وتدمره بعـد أن يحطـم ويدمـر كل من يقابله في طريقه ... إلى متى سـيظل أسـيراً للنـداء الدامـي القـادم مـن أعماقـه المظلمـة ... لمـاذا لا يحـاول بجدية أن يقهـر نفسـه الشـريرة الـتي تهيمـن عليـه؟ ... لمـاذا لا يسـحق قيودهـا الـتي تطوقـه وتكبلـه؟ ... لمـاذا لا يتخلـص مـن عبوديتـه للكراهيـة التي طالمـا سـجد وسـبح بحمدهـا؟ .. لمـاذا لا يكـون حـرًّا ولـو لمـرة واحـدة؟ ... ولمـاذا مـرة واحـدة؟.. هكـذا سـأل نفسـه في حـزم وتضخـم السـؤال في رأسـه. أليـس هـؤلاء المحيطـون بـه أحـراراً .. لمـاذا أصـير أنـا العبـد الوحيـد بينهـم؟ .. لمـاذا لا أحطـم قيـودي وأهـرب؟ .. نعـم أهـرب...

آنـذاك أحـس الأسـتاذ "باسـم" برأسـه قـد ثقلـت فأخـذ طريقـه عائـداً أدراجـه إلى البنسـيون وقـد انتـوى أن يكـون حـرًّا مـن كل مـا سـبق أن ران عليـه مـن قيـود كبلتـه فأعاقتـه.. بيـد أنـه عندمـا دلـف إلى غرفتـه أحـس بقشـعريرة ربمـا يشـعر بهـا للمـرة الأولى في حياتـه، إذ

بدت له الغرفة – على الرغم من ضوء الأباجورة – كالقبر المظلم الذي يكاد يعتصره فحاول الهروب. كان مقبض الباب على مرأى من عينيه، ولكنه كان أبعد من أن تصل إليه يداه .. حاول أن يتصيد بعض نسمات منعشة ،ولكنه – للمرة الثانية – بدا أعجز من أن يفتح النافذة الموصدة .

في تلك اللحظة شعر وكأن يداً خفية تعاقبه على تفكيره ... كان يشعر بها وكأنها تكاد تدك عنقه دكاً فحاول الصراخ ولكن الصرخة اختنقت داخل صدوره فما كان منه إلا أن وقع على الأرض لم يفق إلا صباحاً على صوت مدام "جورجيت".

عندما وصل إلى حيث عمله اليومي الرتيب بدأ وكأنه إنسان آخر .. ولعل زملاءه قد لاحظوا ذلك التعبير البادي على قسمات وجهه والذي لم يألفوه فحاروا في تفسيره ...

كان طابور بشري يمتد أمام ناظري الاستاذ "باسم" عندما جلس إلى مقعده.. وعندما تقدم أحدهم ممسكاً ببعض الأوراق قال في صوت هادئ النبرات محاولاً إثارة بعض النوازع الإنسانية في أعماق الأستاذ "باسم":

– صباح الخير يا أستاذ "باسم" ... لعلك قد قضيت ليلة هادئة...

للحظات .. ران الصمت المطبق على الأستاذ "باسم" بينما كان يحملق في الرجل الذي بدا عليه الذعر خشية أن يكون قد قال خطأً، ولكنه لفرط دهشته ودهشة من كان يليه تناول الأستاذ "باسم" الأوراق في تردد وبيد مرتعشة وقع عليها وعلى شفتيه مشروع ابتسامة صافية.

صمت الحملان

قد أكون أنا...قد تكون أنت ، ذلك الرجل الذي يسيرعلى قدمين ثقيلتين وكأنهما مقيدتان إلى جبال الأرض جميعا، رغم ذلك كانت تتبدى على قسمات وجهه المنحوت من الصخر أمارات الإصرار والعزيمة التي لا تلين .

انظر...إنه يقف تماماً في نهر الطريق يستوقف المركبات في كلا الاتجاهين...انظر ..إنه يلهث يُمنة ويسرة ليتأكد من تمام توقفها.

رغم توقف السيارات في كلا الاتجاهين فإن نفيرها لم يتوقف،بل استمر حادا لا ينقطع ...انصبت اللعنات عليه لكنه لم يعبأ ، في هدوء أخرج من طيات ملابسه لوحة ورقية مطوية، متآكلة الحواف ...لم يلبث أن بسطها ورفعها عاليا بين ذراعيه ليراها السائرون والراكبون بينما كان يدور في هدوء حول محوره دورة كاملة كأنه عقرب الثواني.

أي كلمات احتوتها تلك اللوحة الورقية المتآكلة الحروف ؟ لا شئ سوى عملية حسابية خُطت بحروف سوداء ... **هكذا (٥×٦ = صفر)**

لاشك أن الرجل تلقى من السخرية ولعنات الغضب الشئ الكثير، تصاعد النفير لكن ذلك لم يفت في عضده...لم ينل من إصراره بل طغى صوته فوق ضوضاء البشر والسيارات هادرا كموج البحر العاصف :

٥×٦= صفر

٥×٦= صفر

– حد فاهم حاجة ؟

فجأة ساد السكون وكأن ملاك الموت قد أطبق بجناحيه على الكون...كان شرطي ضخم قد برز فجأة من حيث لم يره أحد ،ثم لم يلبث أن طرح رجلنا أرضاً وارتكز بحذائه الضخم على ظهره .

في لهجة آمرة كان الشرطي الضخم يشير إلى المارة بالانصراف ...كلٌ إلى حال سبيله

لم ينبس أحدهم بكلمة ...لم يهب أحدهم لإنقاذ الرجل من براثن الشرطي الضخم والذي سمعه الجميع..القاصي منهم والداني .. وهو يتوعد صاحبنا الذي يقاوم في استماتة للفكاك من أسره..

–إنت تاني يا... أمك .

الملك والحلم

في قديم الزمان، وفي سالف العصر والأوان، كانت هناك مملكة صغيرة، تحيط بها أشجار كثيرة، شاهقة الارتفاع، بها من الثمار أنواع، فظنها أهلها محل أطماع، ولكن كان من الأمر العجب، لكل من كان يجهل السبب، أنه من داخل المملكة الصغيرة، كانت تسري الأطماع، فتتدهور الأوضاع، ويستشري بين الناس البلاء والأوجاع.

وكان الوضع السائد، في هذا العهد البائد، امتناع الاستقرار، واضطراب أحوال الديار، وكان الناس صنفين، غني نبيل، وفقير ذليل، صنف يسكن القصور، وآخر يتقاسم مع الموتى القبور، ومما زاد الطين بلة، والأمر سوءا وعلة، أن العدل كان هو الحكم الجور، والقتل نهاية كل من يثور، فانزوى صوت الحق زمنا، واحتل الباطل أيما شأن، فاكتظت بالأبرياء السجون، وملأ الذعر العيون.

هذا ما كان من أمر العباد، الذين يشكلون السواد، من المظلومين والمحرومين، والفقراء المطحونين، أما عن السادة الأثرياء والقادة، فكان العرش أسمى أمانيهم، ولذا كان يكثر التناحر ليلاً

ونهاراً، وتسرى الدماء في الطرقات أنهاراً، وكان الملك بين عشية وصبح يتغير، وذلك كان أمراً للعامة محير، وكانوا دائماً يتساءلون "ترى .. أي ملك في الصبح سيكون ؟!!" ولكن على الرغم من كل تلك الأمور، فقد كانت تختفي من قلوبهم الأحقاد والشرور، وكنت تراهم يسعدون، وهم دائماً يرددون:

– لا يهم أي ملك في الصبح سيكون، نحن على الرغم من هذا الفقر، والحق المهدر والجور، مازلنا ننام مرتاحي البال، على الرغم من سوء الحال، وما زلنا نحلم أحلاماً سعيدة، على الرغم من الأيام العنيدة.

ولعل هذا السبب، هو ما أثار الحقد والغضب، في نفس ملك، دحر سالفه فهلك، كان إذا رغب في النوم لا يستطيع، وإذا استطاع استيقظ صارخاً من حلم فظيع، وكان هذا الكابوس يثير القلق في النفوس؛ إذ كان يتكرر ليلة بعد ليلة، فيزيد الملك سقما وعلة، إلى أن أصبح نصف مجنون، فامتلأت بالذعر القادم العيون، وكنت ترى الأيدي تناجي السماء، تردد همساً ذات الدعاء:

– يا رب النجوم ،أغثنا من هذا الملك المحموم .

أما عن الملك، فلم يدر أي طريق للنوم يسلك، وظل يومين لا ينام، والكل يخشى ما ستسفر عنه الأيام، فقد صار الملك مجنوناً، وكان يطيح برأس كل من يحاول، أن يخبره بأمر أو يجادل، ولم يدر أحدهم متى يتكلم أو يسكت، ولكنه في النهاية كان يصمت، خشية أن يتلفظ بقول تكون فيه هلكته، فيكتب بلسانه نهايته.

وبعد حين .. أرسل الملك الواهن، يأمر بإحضار الكاهن، فأسرع الخطا الوزير، يحضره للأمر الخطير، فحضر الكاهن على عجل، ومعه من مختلف الدواء لمختلف العلل، وقال:

– أيها الملك المعظم، ذو السلطان الأعظم، يا من تعلم كل الأسرار، في الأرض وما تحت البحار، جئتك اليوم بدواء جديد، فيه الشفاء من الداء العنيد، واليوم تستطيع أن تنام، وتلاقي أسعد الأحلام.

ولكن الحال لم يتغير، فكان الكل منه يتحير، إلى أن عاد الوزير يوماً سعيداً، يحمل أملاً جديداً، وقال للملك:

– لقد جربت يا مليكنا كثيراً من الدواء، فلم يكن لأحدهم أثر فعال، يشفي من الداء العضال، ولكن الدواء الشافي ليس بمجهول، وفيه الحلم المأمول.

عندئذ تهلل الملك فرحاً وقال:

– أيهـا الوزيـر المخلـص، أخبرنـي بالمفيـد، عـن هـذا الـدواء الجديـد، وواصـل الوزيـر الـكلام، ممنيـاً الملـك بالأحـلام، وقـال:

- هناك يا مولاي حطّاب سمعناه يغني عند الغاب:

أنا حطاب فقير
أعاند أيامي العنيدة
أقاوم الزمان ولا أساوم
على أحلامي السعيدة

واستطرد الوزير:

– إنمـا الحطّـاب فقـير، فلـو أعطينـاه مـن خـيرك الوفـير، لابتعنـا منـه الأحـلام، واسـتطعت يـا مليكنـا أن تنـام، وإنمـا الحطّـاب يـا مولانـا عبـدك، ولـن يرفـض أبـداً جـود عرضـك» .

وهنـا أصـدر الملـك أمـراً، بإحضـار الحطّـاب فـوراً، فحضـر والذعـر يسـبق خطوتـه، مـن سـر دعوتـه، إلى القصـر المنيـف، ذي الحـرس المخيـف، وعندمـا عـرف السـبب، تملكـه العجـب، وقـال:

– لـن أبيـع لـك أحلامنـا، لأنهـا آخـر آمالنـا، في زمـن القهـر، وعبـث الأيـام وجـور الدهـر.

وهنا استشاط الملك غضباً، وأيقن الجميع شرًّا، ولم تكد تمر ثوان، حتى لاقى الحطَّاب من صنوف الهوان، فكُتب من عداد الأموات، قبل أن تبزغ الشمس بساعات.

وازداد الملك جنوناً، والخاصة والعامة ترقباً وسكوناً، وتوقع الجميع أمراً وبالاً، عندما أمر الوزير في الحال، بأن يحضر له من كان يعرف الحطَّاب، من الأقارب والأصحاب، ليعرف أين خبأ الحطاب أحلامه، ليدركها هو في منامه، فأرسل الوزير الجنود بالعتاد، يعيثون في المملكة الفساد، إلى أن حضروا يسوقون، بعض من كانوا يعرفون، شيئاً من أمر الحطَّاب.

وظهر الملك عند الباب، فألقى بقطع من ذهب عليهم، ثم في صوت مضطرب تحدث إليهم:

– أما وقد رأيتم نعمتي، وتعرفون سطوتي وقوتي، فالخير لمن أطاعني، والويل لمن عصاني.

فأجابه بعض الجميع، في صوت خانع مطيع:

– نحن لك مخلصون على الدوام، ولقد شهدت بذلك سالف الأيام.

وأحس الملك باقتراب الشفاء، وزوال الداء، وقال :

– أخبروني أين خبأ الحطَّاب الأحلام، وسأجزل لكم العطاء، فتصبحوا من الأثرياء؟

وهنا قاطعة شاب من بين الصفوف:

– وهل يصبح الجميع سواء، من الفقراء والنبلاء؟!

وهنا خرج الملك عن آخر صوابه، وأيقن الجميع قرب عقابه، وانتفض مهدداً بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولما التزم الجميع الصمت، كُتب عليهم التعذيب حتى الموت.

وذاع خبر الملك الذي يبحث عن الأحلام، كي يستطيع أن ينام، وتملك الذعر الجميع، فحاول بعضهم الهروب، عندما يحل الغروب، ولكن كيف الفرار؟! وقد صارت الأشجار أسوارًا، عليها يقف حراس أقوياء، غلاظ أشداء، يقتادونهم إلى القصر، رافعين بأيديهم رايات النصر.

وتوالت الأيام بعد الأيام، والملك قلق لا ينام، وإذا استطاع، عاودته الكوابيس والأوجاع، إلى أن جاء الوزير، وقال للملك:

– اقتل يا مولانا الكبار، واحفظ حياة الصغار، فتصمت في الكبار الجلبة، وتكن لك على الصغار الغلبة، وتستولى عندئذ على الأحلام، وتستطيع بعدها أن تنام!

وسرعان ما كانت الدماء، تسرى في كل طرقة وفناء، ولكن ما أثار الذهول في عقل الملك المخبول، أن ما تراءى له أنهم صغار، قد صاروا في التو كباراً، ثم التفوا حول الملك المنهار، وفي عيونهم علامة انتصار، فكان حجم الملك يتضاءل، بينما الكل يتفاءل، بحلول الفجر الجديد ودنو الغد السعيد، وكانت آخر كلمات الملك، وقد أوشك على الهلك:

– فقد أريد أن أنام، لا أريد الأحلام، فقد أريد أن أنام، اللعنة على الأحلام!!

قصة بلا عنوان

الحق أنه أجهد ذهنه كثيراً .. أنهكته مراراً تلك البدايات.. دائماً ما تبدو كطريق يكتنفه الضباب فلا تبين معالمه ...من أين يبدأ ؟!! .. سؤال طالما تردد على ذهنه المجهد .. حيرته تلك الحروف الأولى التي تتسق فيما بينها لتصير كلمة تتراص إلى جوار أخرى فتصير جملة .. عندئذ ما من شئ يعسر في طريق المواصلة وإنهاء ما قد بدأ.

أخذته فنون الكتابة على اختلاف ميادينها ... ما إن يُسرع في أحدها حتى ينتقل إلى آخر وكأنه طفل يستكشف بيئته المحيطة به .. أذكره يوم أن انتهى من كتابة مسرحية قصيرة ... كم كان فرحا بها!! وكأنها طفله الوليد .. هل قرأها مرة أم اثنتين أم ثلاثة أم ...؟ الحق أنه قرأها كثيراً،وكثيراً ولعل عيناه قد حدقت النظر في سقف الحجرة عندما ذهبت به الأحلام بعيداً وهو يجد نفسه وقد فاق موليير أو شكسبير أو الحكيم !!

لكم أفرط في الحلم، ولكم تاقت نفسه إلى تلك المكانة!! على أنه قد أفاق سريعاً .. هكذا وجد نفسه يمزقها إلى قطع صغيرة ثم يجمعها في قبضة يده ويرمي بها إلى الهواء وقد أطلق ضحكة عالية ثم ما لبث أن انخرط في بكاء شديد.

وكان أن ثابت نفسه إلى رشدها وانتبذ لنفسه مكاناً في طريق القص.. ولعل تلك الحكايات القديمة التي مازالت عالقة بثنايا ذاكرته قد أثارت لديه رغبة حميمة في الولوج إلى ذلك العالم المسحور بالأسماء والأشخاص والأماكن .. ماذا كان من أمرهم ؟! .. وماذا حدث لهم ؟!! وكيف لعب القدر لعبته في المصائر ؟!!

هكذا أقبل على ذلك العالم المسحور يملؤه شئ من الفرح وقد أخذت خطواته تعرف طريقها إلى عالمه الأثير غير أن فرحة هذا كانت تعلوه مسحة من قلق إذ كان في أول عهده بالعالم المسحور ليس أكثر من منصت لحوادثه، أما الآن فإنه إلى شأن آخر يكون .. الآن عليه أن يروي.. أن يقص .. أن يحكي.. أن يكتب.. فماذا عساه أن يفعل؟!!

هكذا سأل نفسه وتضخم السؤال في رأسه.. ما من مفر إذاً في الإقبال على القصص والحكايات بين دفتي كتاب أو جريدة أو مجلة .. هكذا أقبل على القراءة إقبالاً .. نهم كل ما كانت

تصل إليه يده من حروف مكتوبة .. وكأن تلك القراءات ليست أكثر من نقطة انطلاق إلى عوالم أخرى أكثر سحراً وبهاءً فإذا به يحلق في سماوات الأفكار والنظريات .. يتعلق بهذه ويرفض تلك.. ينحاز إلى واحدة دون الأخرى وهو بكلتيهما يتيه إعجاباً؟!

الحق أنه قرأ كثيراً ... الأكثر حقاً أنه غرق إلى أذنيه في بحار الكلمات والحروف وما أراه إلا وقد استلذ غرقه الدائم هذا. هكذا غادرته تلك المسحة من القلق التي هاجمت فرحة فانتقصت منه ومن بهائه ووجد ذهنه وقد امتلأ ففاض، والآن ليس عليه إلا أن يمسك قلماً وورقة ليخط أول السطور.

هكذا أتى مكتبه جالساً إلى كرسيه وقد وضع أمامه مجموعة مختلفة من الأفلام،ومجموعة أخرى من الأوراق البيضاء، وأخرى من ذوات السطر الواحد. أمسك بالقلم وسحب ورقة بيضاء وشرد بذهنه قليلاً ريثما يمسك بتلك الفكرة التي تحلق في سماء ذهنه مثلما تحلق تلك الذبابة في سماء الغرفة فتثير طنيناً ثم ينقطع ثم يتواصل ليقطع صمت الغرفة.

دقائق مرت تبعتها دقائق تبعتهم ساعات طوال ثقال ولم يخط حرفاً واحداً على الورقة البيضاء .. وكأني به قد سأل نفسه في دهشة مريبة: «أبعد كل تلك القراءات التي ازدحم بها

عقلي لا أقدر على كتابة جملة واحدة بل حرف واحد؟!! أكان كل ذلك عبثاً؟!!» ولعل هذا السؤال قد قض مضجعه كثيراً في تلك الليلة عندما أمسك بالقلم تلو القلم والورقة تلو الورقة فلم يستطع شيئاً بينما مازالت الذبابة في تحليقها العبثي.

هكذا آوى إلى فراشه لعله يجد في نومه ما كان يجد في البحث عنه في يقظته ولم يجده وقد كان .. استيقظ فجأة وكأنه أرشميدس عصره مردداً: «وجدتها .. وجدتها»، ولعله أراد العالم – على اتساعه – أن يسمع ترجيعها ولعل الغرفة – على ضيقها – لم تحتوها فتسللت إلى خارجها تؤذى الغاطين في نومهم إذ انبرى أحدهم وقد غالبه النعاس وامتلكه شئ كثير من الفزع والضيق فقال مهدداً:

– اسكت يا مجنون وإلا طلبت لك مستشفى الأمراض العقلية.

كثيراً ما سمع تلك العبارة التي تمنى أن يخط مثيلتها على الورق.. وكان أن عهد عليه جيرانه ذلك الموقف فما كان منهم إلا أن تركوه لشأنه ولعفريته الذي يوقظه كل ليلة ولم يلقوا إليه بالاً بعد ذلك.

وكان حقاً على عِفريته أن يصدقه يوماً ويلهمه شيئاً من سر ذلك العالم المسحور، إذ في ليلة شاتية لم تنمح من ذاكرته إلى الآن إذا به يستيقظ وجلاً كعادته كل ليلة ليطلق صيحته المعهودة وكأنه إنسان

الغـاب يطلـق صوتـه في الفضـاء ليطمئـن إلى ترجيعـه ويلتمـس منـه أمنـاً.

إذاً فقـد صـدق عفريتـه وأراه وقد أسـرع الخطـى إلى مكتبه ليجلس إلى كرسـيه ثـم يسـحب قلمـاً وورقـة بيضـاء ويشـرع في الكتابـة لا يجـد مشـقة في هـذا وكأنـه السـيل ينهمـر بـلا انقطـاع ثـم هـو يجـد ورقتـه البيضـاء وقـد اسـودت بالكلمـات فيسـحب ورقـة ثانيـة ثـم ثالثـة إلى أن يجـد نفسـه غـير قـادر علـى الاسـتمرار والمواصلـة فيضـع قلمـه جانبـاً ويرجـع بظهـره إلى الـوراء مـا اسـتطاع يلتمـس تصحيحاً لعمـوده الفقري.

ومـا كان لعفريتـه أن يصـدق معـه ثـم يضـن عليـه ثانيـة فيخذلـه فـإذ بـه يواصـل مـا انقطـع عنـه حتـى اكتملـت لديـه خمـس ورقـات قـد اسـودت صفحاتهـا جميعـاً.. وهـا هـو يشـعر بنشـوة وغبطـة حقيقتـين ويقلـب الصفحـات بـين يديـه كأنـه يهدهـد طفـلاً صغـيراً جميـلًا وأذكـره لا يضيـع وقتـاً فينقـل صفحاتـه الخمـس هـذه إلى ورقـات أخـرى بيضـاء مـن ذوات السـطر الواحـد يعيـد صياغـة بعـض العبـارات ويصحـح مـا قـد أفسـدته السـرعة مـن أخطـاء لغويـة أو نحويـة .. يعيـد هـذا وذاك في أسـلوب أكثـر تنظيمـاً وخـط أكثـر حسـناً.

وأراه يسـعد أيمـا سـعادة مثلمـا حـدث مـع مسـرحيته الأولى وتلعـب بـه الظنـون كمـا لعبـت بـه أول مرة،وتذهـب بـه الأمانـي كمـا ذهبـت إلى حيـث يظـن نفسـه قـد طـاول «مـوم» أو «إدريـس» أو

«محفوظ» .. ولكنه سرعان ما يحتاط للأمر حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه فيطوي ورقاته ثم لا يلبث أن يريها صديقه هذا وزميلته تلك وغيرهما كثير فلا يظفر منهم جميعاً إلا بأقل القليل من كلمات التشجيع التي تنم عن مجاملة زائفة لا عن وعي وفهم لما قرأ ونقد لما احتواه.

ويعود إلى غرفته أو قمقمه ليجد عفريته في انتظاره فيمطر عليه أفكاراً وأفكاراً ولا يتسرب اليأس إلى نفسه فيكتب ويكتب ويخطئ ويصيب ويصيب ويخطئ، ويسمع نقداً لاذعاً مرة وكلمات تشيد به وبعفريته مرة أخرى، وهو بين هذا وذاك أراه قد استلذ الكتابة فلا يحيد عنها لا يأخذه منها إلا توفير أسباب الحياة، غير أنه وقد وجد نفسه قد اتخذ لها هدنة من اللهث وراء الضروريات وقد فرغ من كل شئ إلا انتظار عفريته إذ به يفاجأ برحيله لا يعلم متى يعود؟

ويأوي صاحبنا إلى سريره يتذكر صيحته ويأمل في ترديدها ثانية وتنوح في قلبه الذكريات ويسأل نفسه الحائرة القلقة ،ويتضخم السؤال في رأسه: «ما هذا العفريت قد غادرني على غرة؟!!» وإلى متى أظل منتظراً هذا العفريت؟!! ولماذا لا أكون أنا عفريتي؟!!

ويهب فزعاً من سريره تتجه خطواته إلى المكتب ليجلس إلى كرسيه ويسحب قلماً وورقة ويكتب .. ولكن ماذا يكتب؟!! هكذا سأل نفسه في حزم وأجاب متسائلاً: «لماذا لا أكتب عن لحظتي تلك ؟!! لماذا لا أكتب عن معاناتي في البحث عن فكرة لا أستجديها من عفريت متمرد؟!! لماذا لا أكتب عما كان؟!!.

الحق أنني لم أقف عند حد السؤال .. الأكثر حقاً أنني كتبت .. هل تعرف ماذا كتبت؟!! إذا أردت فأعد قراءة ما سبق لك أن قرأت!!.

الدقاق

سمتان جليتان ليستا بخافيتين على كل من اتصل به ووقف على أحواله .. الصمت والجلبة .. نقيضان اجتمعا فيه .. أما الصمت فمرجعه إلى قلة كلامه.. كان كثيراً ما يردد أن المولى سبحانه عظم اسمه في الأرض والسماء قد خلق لنا أذنين لنوغل في الإنصات، والصمت رفيق الإنصات .. كلامه قليل .. إذا نطق فعبارات بسيطة تفي بالغرض تلمح ولا تصرح .. تشير ولا تسفر .. لا يغيب المعنى المحلق في الأفق إلا عن كل شارد ذهن أو قليل إدراك أو فهم. أما الأريب فيحلق وراء قليل الكلمات .. يفسر فيدرك ويقنع.

ذاك الصمت ،أما الجلبة فمحورها عمله.. ليست تلك الجلبة التي تذهب بالهدوء وتثير حنقاً وكدراً ..كان جوهرها دقات ذات إيقاع وجرْس.. بعضها عالي الرنين في غير إزعاج .. معظمها منخفض الرنين .. دقيق كأنه الهمس...أدواته مطرقة و إزميل.

ذاك هو «الدقاق».. أكان ذلك لقبه أم كنيته .. ما من يقين إزاء ذلك؟ الأمر الأكثر غموضاً كان متعلقاً بعمره وتمام مقداره، عُدَّ ذلك أمراً

محـالاً.. يُقسـم أحدهـم، وكان شـيخا معمـرا قـد تجـاوز المائـة، أن جده لأبيـه رآه علـى هيئتـه الحاليـة عندمـا كان صبيـاً لم يبلـغ الحلـم بعـد.

مـن غرائـب الأقـوال الشـائعة المتعلقـة بعمـره أنـه عـاش زمـن الجاهليـة وكان علـى هيئتـه الحاليـة ينحـت التماثيـل مـن جبـل أحـد .. تماثيـل لأحبـاء.. أقربـاء .. ذوي منصـب وجـاه.. كانـت تماثيلـه تبهـر الرائـين وتثـير عجبهـم ودهشـهم.. بمـرور الوقـت ازدادوا إكبـاراً وتعظيمـاً لهـا.. عبدوهـا.. ذلـك ممـا أحزنـه وقلـب حياتـه رأسـاً علـى عقـب.. عـزف عـن ممارسـة فنـه .. ازداد نأيـاً عـن قومـه فارتحـل.

إذ سمـع عـن الإسـلام آب وآمـن ... صـار واحـداً مـن صناديـد الإسـلام .. مجاهـداً مـن المجاهديـن الأوائـل.. اشـترك في غـزوة بـدر ونالتـه طعنـة رمـح في أحـد بـرء منهـا بعـد شـهرين كاملـين .. أمـا دوره في غـزوة الخنـدق فـكان بـارزاً ولا يُنسـى.. اشـترك في حفـر الخنـدق الـذي أشـار بـه سـلمان الفارسـي رضـى الله عنـه.. كان دوره مؤثـراً في التصـدي للأحجـار الصلـدة السـميكة الـتي تعـترض الحفـر.. ثـلاث ضربـات أولهـا في اليمـين .. الثانيـة في اليسـار أمـا الثالثـة ففـي المنتصـف تمامـاً بعدهـا يتداعـي الحجـر وينهـار.

الأكثـر غرابـة مـن ذلـك مـا يدعيـه البعـض مـن أنـه قـد لحـق زمـن الفراعنـة .. بالتحديـد زمـن بنـاة الأهرامـات .. اشـترك مـع

الآلاف غيره في تهذيب أحجار الجرانيت القادمة من محاجر أسوان عبر النيل .. رجح البعض أنه كان يحتل منصباً ذي سطوة وأن الفرعون قد أنعم عليه بنفيس الهدايا لإسهاماته الفعالة.. وإلا فلماذا يحيط عنقه دوماً بتلك التميمة الفرعونية؟!!

ملامحه كأنها قدت من حجر صوان صلد.. تماماً مثل الذي يدق فيه بإزميله ينحت ويشكل ويعيد صياغة.. وجهه لم يكن ممتلئاً.. كان له وجه طويل برزت فيه عظمتا الوجنتين .. له انحناءة بسيطة لا يلحظها إلا كل مدقق ومتابع .. ذلك من أثر انكبابه على الحجر .. عيناه ضيقتان كأنهما ثقبا إبرة، رغم ذلك فقد كانت لهما قوة إبصار ثارت حولها الأقاويل والحكايات.. إحداها تقول إنه عندما كان يستعصى عليه الحجر فلا ينثني تحت شديد ضرباته،وكان نادراً ما يحدث ذلك، عندئذ كان يجثو على ركبتيه .. يرنو إلى السماء.. يستغرق في صلاة عميقة ويبدأ في ترديد بعض الأدعية .. إذ يفرغ يبدأ في تركيز عينيه على الحجر.. إن هي إلا ثوان حتى ينفلق الحجر فيصبح طوع بنانه .. ثمة شعاع لامرئ انبثق من عينيه فكان ما كان من انفلاق الحجر وتفتته؟!! .. ذلك مما لم يجزم به أحد ويقطع.

من عبقريات صنائعه ما يؤكده الخاصة والعامة أنه أثناء إقامته في إسطنبول بعد قيام السلطان سليم الأول بجلب الصانعين المهرة إلى هناك من أجل التشييد والزخرفة.. من أجل إنشاء حضارة فنية تبقى وتدوم تماماً كتلك التي بهرته في مصر المحروسة.. هنالك أبدع أحد روائعه التي ظلت حديث الأرض إلى أن أتى عليها زلزال مدمر.. أطاح بها فصارت أثراً بعد عين.

ماذا أبدع؟ ... ذاك مما كثر الحديث عنه ... نسج الناس عنه العديد من الحكايات فوصلوا بها إلى درجة الخيال المجنح .. صارت أسطورة.

يقولون إنه سجل قصة خلق الكون بدءاً من نزول آدم عليه السلام أبي البشر إلى سطح الأرض حتى انتصار جيش ابن عثمان على قنصوة الغوري وطومان باي في موقعتي مرج دابق والريدانية ودخوله مصر المحروسة .. نحتها جميعاً على جبل «الجودي» الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام أثناء الطوفان العظيم .. عُد عمله هذا فريداً في عبقريته .. لم يأت أحد من قبل بمثل ما أتي به .. عندما فرغ منه وجاء السلطان لمشاهدته لم يتمالك نفسه .. خر ساجداً لله سبحانه على تلك العبقرية التي أودعها رأس هذا الرجل النحيف ليصوغ

فنا خالداً كهذا .. من غريب الأمر المتعلق بهذا النحت الخالد أنه كان يضئ ليلاً فيهدي السفن التي تمخر عباب البحر.

من إحدى فرائد عبقريته أيضاً أنه نحت القرآن الكريم كاملاً على قطعة من الآجر.. أعماله ذاع صيتها في مشارق الأرض ومغاربها .. كان يأتيه أناس من مختلف مناطق العالم.. كانوا يأتون من مناطق حارة وأخرى قارصة البرودة .. أثار ذلك حنق بعض ولاة الأمور.. خشوا العامة والتفافهم حوله لكنهم لم يستطعوا حياله شيئاً.

أتاه يوماً شاب من أفغانستان دون العشرين .. أخبره أنه سمع عنه من أبيه لم يطق صبراً على نأيه عنه .. ليلاً وبينما كان من في المنزل نيام خرج قاصداً لقياه .. من غريب ما أخبره به أنه صمم على إتيانه سائراً على قديمه رغم شوقه.

في إحدى المرات قدم لزيارته شيخ من الإسكيمو.. كان ذلك مما أثار حيرته.. كيف سمع به؟! وممن؟ كيف وهو يقطن آخر نقطة في الأرض حيث الصقيع وانتفاء العمار؟ .. شيخ الإسكيمو لم يُطل حيرته.. أجاب عن أسئلته وفض له المستغلق .. قال بأن لهم طرائق في الاتصال والتواصل .. ثمة إشارات دخانية خاصة... عن طريقها يبعثون ويستقبلون كل ما يدور ويحدث هنا وهناك.. بهذا يتواصلون مع العالم من حولهم

.. بقى الشيخ معه ثلاثة أيام كاملة .. تلقى عنه وعرف .. بعدها استأذنه في الإياب إلى مسقط رأسه .. عاد راضياً مرضياً.

هكذا ... لم يضن على من جاء يتلقى ويعرف.. كان دائم الترديد بأن يوماً ما سيطاله ما يطال البشر جميعاً .. سيموت ويفني .. يبقى محض ذكرى لا تلبث أن تفني هي الأخرى .. أعماله قد تنال منها عوامل زمن أو بشر.. تصير أطلالاً فلا تبين .. أما مالا يفني أو تضيع ملامحه وتبهت فعلمه الكامن في رأسه .. من هنا كان حريصاً على إيداع ما خبر وأدرك لكل من توسم فيه طلباً للعلم واجتهاداً ومثابرة.

هكذا تلقى عنه الكثيرون .. رجال ونساء ... تباينت أعمارهم واتفقوا جميعاً في عشقهم لهذا الفن .. أما أقربهم إلى قلبه فكان شيخ كفيف قدم إليه من أحراش أفريقيا، أتاه وحيداً رغم شسوع المسافة وأخطار الطريق .. أخبره أن أولاده الأربعة سعوا في الأرض طلباً للرزق .. كلٌ إلى جهة من جهات الأرض الأصلية الأربعة .. هكذا بقى بمفرده .. كاد أن يقتله التفكير في وحدته وحنينه إليهم .. هكذا عزم على إتيان المحال .. لم يهن العظم منه بعد أحس بين جنباته قوة لم يدركها في عنفوان شبابه .. بعد أن نهل من مورد العبقرية وارتوى آب وفاجأ الجميع بأول صنائعه .. نحت

كـرة حجريـة عليهـا يقـف أولاده الأربعـة .. كل ممسـك بيـد أخيـه .. كانـت مـن الإتقـان بحيـث لم تغـب عنهـا أوهـي التفاصيـل .. علـى اسـتدارتها بـرزت المعمـورة بتفاصيـل ودقائـق جغرافيتهـا مـن جبـال وأوديـة ومنحـدرات، أمـا أغوار المحيطـات والأنهار والبحـار فكادت أن تذهـب بعقولهـم .. كانـوا عندمـا يمـرون بأصابعهـم متتبعـين الانحناءات .. يسـمعون الهديـر ويستشـعرون المـاء ويحسـون علـى وجوههـم طراوته.

أثمـة علاقـة حميمـة خفيفـة نمت بـين الشـيخ الكفيـف وبينه؟!!

عنـد ارتحـال الشـيخ الكفيـف بكـي بـكاءً مريـراً وهبـط عليـه حـزن عظيـم .. حـاروا في أمـره كثـيراً فشـطَّت بهـم الاجتهـادات .. قالـوا إنهـا الصحبـة .. آخـرون زعمـوا أن الشـيخ الكفيـف تفـوق عليـه، أمـا هـو فلـم يشـأ إلا التشـبث بمـا علـق بـه طيلـة عمـره، إذ لم يسـتطع أولـو القـوة انتـزاع المطرقـة والأزميـل مـن يديـه الاثنتـين فدفـن بهمـا.

اللحاد

كان حدثاً .. لحق بالسلف وغدا سيلحق بالخلف .. لتكراره الدائم اكتسب طابع الاعتياد .. فقط يبعث إحساساً بالتأمل ينتج عنه خشية لا تلبث أن تتلاشي بعد لحظات. كان حدثاً اعتاده الجميع حتى في تلك البقعة القاصية .. بقعة لم ترصدها خريطة.. ربما لم تقف عليها عينا رحالة لتسجيل بعض سطور عنها. فقط هنالك بقعة مماثلة لها تماماً تبعد بالدابة مسيرة ثلاث ساعات . علاقات الجوار بينهما شبه مقطوعة . كل له شئونه الخاصة. لم يسبق أن التقى كبيرا البقعتين إلا عند وقوع أمر جلل كحدثنا هذا . لقاء تحتمه العادات وتحكمه التقاليد الموروثة.

بدت كوشم في كف التاريخ – لعل الزمن حاول لفظها باندثار قاطنيها واحداً تلو الآخر لكنها ظلت تقاوم .. تنجب جيلاً يليه آخر . شهدت على فترات متفاوتة تمرد الأبناء .. ارتحالهم إلى أقرب نقطة عمران .. تبعد بالدابة مسيرة ثلاثة أيام. بعدها يتيه المتمردون في زحام العالم الكبير . تستهويهم الأضواء فتعمى أبصارهم .. بعضهم قد يعود بعد غيبة قد تطول فتصل لسنوات، وقد تقصر فتصير شهوراً ،عازماً على توبة وانضمام تحت لواء عالمه الصغير

.. بعضهم الآخر يعود محملاً بأمل في إصلاح ،الرغبة العارمة في الخروج من الشرنقة وتنفس الهواء الجديد، إذ يجاهر بدعواه تصدمه العادات البالية وتسحق آماله التقاليد العقيمة المحمومة .. يسخر منه الكبار .. يلاحقه الصغار في كل مكان تطأه قدماه.. يطاردونه بسجعهم الساخر منه ومن دعوته. يلقونه بالتراب. يقذفونه بالحجارة حتى تدمى قدماه وجبهته. ترجمه عيون النسوة المتلفحات بملابس سوداء تتدلى منها أجراس صغيرة يسمع لها رنين عند تحركهن. ترمقه العجائز بنظرات نارية. لا يجد أمامه بعد كل هذا الذي لاقاه وعاناه إلا الفرار .. لاعنا دعوته ودعواه.

كان حدثاً.. في هذه المرة لم يحمل طابع الاعتياد .. حل محلاً بدهشة وحيرة ارتسمتا على الوجوه المكفهرة في آن .. مات اللحاد .. كان حدثاً فاجأ الجميع. سرت على بعض الشفاه ابتسامة ساخرة سرعان ما ذبلت .. لقد طال الأمد به حتى شارف المائة.. ظن الجميع أن الموت قد تخطاه إلى الأبد .. على امتداد عمره وارى العشرات التراب .. ورث مهنته هذه عن أبيه الذي ورثها بدوره عن جده. يعمل بها منذ أن كان في أواخر العقد الثاني من عمره.. لم يتزوج لينجب من يرث مهنته المنفرة تلك. كان ذلك رأيه فيها. نفرت منه النساء .. رفضن الزواج منه، اجتنبه رفقاء صباه .. رغم ذلك لم يشأ أن يعمل غيرها .. لم يدر أحد لماذا؟!

كان حدثا أربك الجميع .. خيمت على رؤوسهم علامة استفهام كبيرة...كان الحدث برمته يبدو وكأنه نكتة سخيفة.

– أو قد مات اللحاد حقاً؟!!

سؤال بدت إجابته جلية .. كانت إحداهن تطرق باب حجرته المشيدة بحجارة جبلية سميكة رصت فوق بعضها البعض في إتقان متناه. ساورتها الشكوك عندما لم يُجب نداءها كعادته كل صباح عندما تجلب له الإناء الفخار المتلئ لحافته بالماء . دفعها الفضول لفتح الباب .. ألفته مسجي فوق أريكته المصنوعة بمهارة فائقة من سعف النخيل .. متصلباً كتلك المومياء التي وجدها أحدهم مدفونة داخل المغارة التي نحتتها الطبيعة في بطن الجبل.

إذاً فقد مات اللحاد حقاً!! ها هو الجسد بارد أمامهم كقطعة من الثلج يتحرقون إليها شوقاً في قيظهم .. الصدر ساكن كتلك الجبال التي تطوقهم منذ سنين.. لا يعلو ليستنشق شهيقاً أو يهبط ليطرد زفيراً.. الوجه في طريقه ليكتسى بالصفرة بعد أن توقف القلب عن ضخ الدم في الجسد الميت .. رغم ذلك فقد بدا بوضوح لكل من لبى صرخة الفضولية ذلك الإحساس بالراحة الذي ارتسم على قسمات وجهه!

تقابلت العيون تحمل سؤالا واحداً «وماذا بعد؟!!» إن أحدا قط لم يساعد اللحاد العجوز في عمله؛ إذ كان يتحمل بمفرده عبء كل شئ من تجهيز الميت إلى النزول إلى القبر المظلم وإتمام عملية الدفن. أحياناً قليلة كان يساعده من أطلقوا عليه «المجذوب». لم يعد بينهم فيريحهم من حيرتهم . كما ظهر بينهم فجأة اختفى أيضاً فجأة دونما سابق إنذار.

– وماذا بعد ؟!!

سؤال دار على الشفاه ..

– من سيوارى هذه الجثة الهامدة التراب ؟!!

زاغت الأبصار.. اشرأبت الأعناق تبحث عمن سيقتحم الصفوف معلناً قبوله أداء هذه المهمة. سادت لحظات صمت رهيبة. لم يسمع دبيب أقدام المتطوع. بدا الموقف خطيراً بحق. ربما يموت آخر . ستتعقد الأمور أكثر فأكثر .. الألسنة لازالت صامتة والأقدام ثابتة.

– لابد من حل سريع !!

كلمات نطقها أحدهم في عجلة .. التفتت العيون تبحث عن صاحب الصوت .. أدرك الكل مغزى عبارته .. صفير

ريح قادمة .. شمس حارقة تلفح الوجوه .. لاريب في أن الرائحة ستنتشر في الهواء . تزكم الأنوف، تقئ الحبالى.. قد تتعفن الجثة فيكون أمراً وبالاً .. يقف عليها الذباب.. ينقل في ترحاله أوبئة وأمراضاً خطيرة ... ربما ينقل الطاعون!!

– فليرسلوا إلينا لحادهم.

كلمات أخرى سريعة .. سرت همهمة .. ثمة أحاديث جانبية ... أشار عليهم كبيرهم بالصمت .. أومأ مؤيداً صاحب الاقتراح .. نظرة ذات مغزى أدركها أحدهم ... في خفة امتطى دابته .. راقبته العيون حتى تلاشي .. تنفس البعض الصعداء .. جلس الكل القرفصاء في انتظار إياب رسولهم ببغيتهم.

ساد سكون فبدأ البعض يجهد الذهن في تذكر آخر كلماته.. سُمع بكاء أحدهم.. هون رفيقه عليه الخطب .. أفصح عن سر بكائه .. لقد نهره بعنف إذ أبصره يعطي ولده تمرة.. جهلوا جميعاً حدبه على الصغار.. انتحب آخر.. أبى أن يصافح يده الممدودة إليه يوماً ... اشمأز منه .. خافه.. نبذه الكل .. أدركوا ذلك أخيراً فسرى البكاء بينهم كالعدوى .. أصبح الموقف أشبه بملحمة بكائية.

قرص الشمس في طريقه ليتوسط كبد السماء. صفير الريح

القادمة يحتد.. يبعث في قلوبهم إحساساً بالرهبة من المجهول . التقطت أنوفهم بشائر رائحة كريهة .. ساد القلق العيون .. وجوم تام مسيطر .. تبرم غِرٌ .. نهرته عيني أبيه فقعد بعد وقوف.

أخيراً توسط قرص الشمس كبد السماء .. صفير الرياح يحتد ويحتد .. يزيد إحساسهم بالرهبة من المجهول .. لمح حاد نظر نقطة ضئيلة قادمة صوبهم.. متفاخراً بقدرته الفذة أعلن على الملأ وصول الركب المنتظر.

كما ذهب رسولهم جاء .. لم يأت اللحاد .. ازداد القلق وساد ذعر عندما سقط شيخ على الأرض .. أدركته فور سقوطه منيته .. شعر من تنفس الصعداء بالخطر المحدق بهم.

عندما ترجل لم يتفوه بكلمة .. كاد يقتله الظمأ بعد أن نفد ماؤه ... بعد ارتوائه أخبرهم عما حدث .. على وشك أن يعانوا مما يعانون هم منه الان!!

لحادهم يعاني سكرات الموت .. لا يعرفون ماذا هم فاعلون إذا ما هو مات.. فكروا فيما نحن قد فكرنا فيه!!

هكذا أخبرهم الرسول قبل أن يسقط بينهم وتدركه هو الآخر فور سقوطه منيته!!

لوثة

تحت تأثير الأبواق والأقلام تستطيع أن تقبل على ما أنت كاره ..بصدر رحب .. بجسد متحمس .. لن تكون ما أنت كائنه .. هنالك شخص آخر طغى عليك.. التَبَسك .. مازالت الملامح كما هي .. لم يطرأ عليها تغيير .. الوجه هو .. الأذنان كذلك .. العينان ... كل الجسد الخارجي .. فقط ستسمع من زاوية جديدة .. ستتذوق بطريقة مختلفة .. سترى الموجودات من حولك بعينين أخريين غير اللتين اعتدت أن ترى بهما الأشياء والأحداث من ذي قبل.

هكذا نحن جميعاً .. عرضة للاستهواء .. وهكذا أيضاً كان هو...

شاب يزهو مختالاً بالنجمة الذهبية التي تلمع تحت ضوء الشمس فوق كتفيه.. ملؤه الحماس .. في أحايين كثيرة يكاد يصل به حماسه إلى هاوية التهور وانفلات مقود تحكمه في نفسه من بين يديه.

ثوري هو .. من أبناء الثورة الأُول .. سعيد هو بهذا .. يتشربها من الألف إلى الياء .. على حوائط غرفته يعلق صور بعض الزعماء .. عهده زملاؤه يحييهم عسكرياً كل صباح ومساء.. جيئة وذهاباً .. فخور هو بها إذاً .. يكاد يمسك في خناق من يتعرض لها أو لأربابها بسوء .. يعرف عنه قادته ذلك!!. عند إشراقه شمس أوكلوا إليه مهمة خاصة .. أوامر تم تلقينها له من قائد المعسكر شخصياً .. عليه تتبع أحد المعادين للثورة .. للوطن.. له!!.

أعد للأمر عدته .. جنوداً مدججين بالسلاح .. عربات مجنزرة .. أعين تتجه صوب الهدف.. يلوذ هو وأسرته بمنزل تأسره أشجار من جوانب ثلاثة . أوقف عرباته.. جنوده في مواجهة المنزل .. أعطى الإشارة .. تهاوى المنزل على لاجئيه .. مش الهويني بين أشلاء الأطفال والعجائز .. أمر جنوده بالهتاف بعده «تحيا الثورة .. تحيا الثورة»!!!.

غيلة

هل هكذا شاءت إرادة الأقدار؟! ... لا .. بل هكذا شاءت إرادته هو .. لا شئ يقف في وجهه .. مثل النار لا تبقى ولا تذر.. هكذا عرفه أهل دائرته الانتخابية .. هو نائبهم منذ سنوات عديدة خلت .. لم يعهدوا رؤيته في تلفاز مقهى القرية النائمة في أحضان النيل إلا غاطاً في نوم عميق أو متثائباً ليظهر اتساع فمه كفم فرس النهر... أضحى له الآن خطر يهدده .. يزلزله زلزلة عنيفة تكاد تعصف به من مقعده تحت القبة .. ظهر منافس له في الملحمة الانتخابية.. لم يكن هذا أمراً مألوفاً بالنسبة له .. كانت سطوته وجبروته أقوى من أن يفكر أي مخلوق في أن يزاحمه على مقعده .. معروف عنه الغلظة .. حدة الطباع .. لا يقيم وزناً للمشاعر الإنسانية.. كان مؤلم الضرب لزوجته .. يتحاكي الجميع يوم أمسك الشقيق بتلابيب جلبابه الصوف ونهره على معاملته لأخته .. بعدها لم يسمع له حس؛ .. قلبه مثل حجر صوان صلد .. ملامحه توحي بذلك .. مدكوك البنية.. ذا شارب كثيف يكاد يحتوي فمه .. تماما كبيدق عثماني من الزمن البائد .. يجهل

الجميع السر وراء هذه القسوة التي شاب عليها على الرغم من أن أباه قد تعهده برعايته تماماً كشقيقة ! ! .

كان عليه أن يتدبر الأمر جيداً .. فكر ملياً.. شاور خاصته .. حاول استمالته.. لجأ إلى الرشوة .. الوعد والوعيد .. كان قوياً مثله ولكن في غير عنف .. ابتسامته تبين نقاء سريرته .. لا تنطوي على نية تضمر الشر مثله إذ يدرك الجميع مغزى اصطرار أسنانه .. هناك خطر قادم .. محدق سيستأصل شأفة أحدهم أو بعضهم.

– إذن باءت كل المحاولات بالفشل ليفعل الله أمراً كان مقدوراً ! !

ترددت أصداء كلماته في أزقة القرية الضيقة .. كانت أقدامه تتجه إلى حيث سيكمن لغريمه عقب عودته من العزبة المجاورة... كان هذا الطريق المحازي للنيل هو الوحيد المؤدي للقرية .. على هذا الطريق الترابي تساقط الكثيرون .. يتهامسون سراً في القرية أن الأشباح تجوب المكان بعد الغروب .. يقسم أحدهم أنه رأى أشكالاً بيضاوية تجوب المكان جيئة وزهاباً ثم تختفي فجأة عند الساقية المهجورة. في كوخ متداعية أركانه كمن .. انتظر .. ترصد ساعات طوال .. صمت مطبق يلف المكان .. هُيئ له أنه شاهد شقيق زوجته ماشياً فوق صفحة النيل .. نقل إليه الهواء ضحكات غريمه.

– لابد أنه أخذ وعداً شريفاً بأصوات .. إذن أحرز نصراً .. ليكن ما كان.

استعد .. و ... أطلق رصاصة واحدة ! ! عاد أدراجه إلى البيت .. مسرعاً .. لاهثاً . دلف إلى غرفته .. تصفح بعينين مرتعشتين خطاب الغد .. هنالك أحداث جمة ستتحدث باكراً .. فليستعد إذن من الآن لما سيدلي به بشأن مقتل توأمه !

شعاع من الماضي

تركت مرتع صباي بقلب كسير .. خلَّفت ورائي حلماً كبيراً كان يُنير حياتي وأقبلت على أيامي القادمة بلا حلم فأظلمت حياتي ..

شعاع تتسلل من غياهب ماضي بعيد فأيقظني على حقيقة مفزعة .. لقد سُرق عمري وما أنا الآن إلا خيال باهت من إنسان كان يرنو إلى سعادة مع من خفق قلبه بحبها منذ الصغر .. سامحك الله يا أمي .. ولكن أنا .. من يسامحني؟!!

كيف استطاعت «وداد» أن تتسلل إلى ذاكرتي رغم كل تلك السنين التي مرت.. ما أزعم أني قد نسيتها لكنني اصطنعت أسواراً عالية حول ذاكرتي فكيف تجاوزت كل ذلك!!

ما رغبت يوماً في نسيانها لكنني لم أكن لأتحمل نظرة العتاب في عينيها الجميلتين! هل حقًّا سامحتني كما قالت لي في آخر لقاء جمع بيننا،وقد أدركت بحكمة قلبها الكبير دوماً عمق حيرتي آنذاك بين حبي وعهدي لها،ووصية أمي وهي على فراش

الموت أن أتزوج ابنة خالي الذي تعهدني برعايته بعد وفاة أبي.

سامحك الله يا أماه .. كنت تدركين مدى حبي لوداد فكيف طاوعك قلبك أن تحرميني إياها .. كيف هان عليك تحطيم قلبين ؟!! أتذكرين يا أماه عندما أخبرتك أن المشاعر والقلب لا يمكن أن تكون هي المقابل الذي يجب عليّ تسديده وفاءً لدين الرعاية والكفالة في الصغر.

هكذا .. ضحيت بحبي عرفاناً بالجميل.. واريت حلم السنين كهف النسيان وبعدها بأيام قلائل واريتك يا أماه التراب .. وأنا ألقى عليك النظرة الأخيرة رأيت في عينيك راحة الاطمئنان ..أجل .. لقد تعبتِ وشقيتِ عبر السنين وآن لك أن تستريحي .. ولكن لماذا رأيت في عينيك حزناً في ذات اليوم الذي تسللت فيه وداد من غياهب الذكري ؟!!

كأن عينيك ترثيان لحالي وتطلبان الغفران !! أو تظنين أنني لم أسامحك أم تلومين نفسك على ما حرمتني إياه من سعادة أتحرق شوقاً إليها وسط حياة خاملة أعيشها منذ سنوات خمس خلت من عمري يوم كان الفراق العظيم .. فراقي عن وداد حياة وفراقك عني موت.

من يصدق يا أمي أنك تحثينني الآن على البحث عن وداد وإحياء الحب القديم. أو تكونين قد أدركت يا أماه، وقد ارتحلت إلى العالم الآخر .. إلى الجنة ولا ريب حيث الحب والأحباء يسعون في نور سرمدي، أن الحب هو الحقيقة المطلقة.. هو النور يسعى بين المحبين .. ولكن خبريني كيف غابت عنك تلك الحقيقة خمس سنوات كاملة تجرعت خلالهما آلام الوحدة وعانيت فيها إحساساً مريراً بالذنب تجاه وداد وتجاه زوجتي التي تدرك مدى البعد العاطفي بيننا، فإذا بها تفاجئي بالرغبة في الطلاق على أن يبدأ كل منا حياته من جديد وأن نظل كما كنا صغاراً.. أخا وأختاً!.

هل كانت مصادفة أن تكون رغبتها تلك قبل يوم واحد فقط من ذلك الشعاع الذي أتاني من الزمن الجميل... أحقاً كانت مصادفة أن يزورني طيفك يا أماه يرجوني أن أستعيد سعادتي المفقودة وقد تحللت من قيد الزواج.

تمنيت لو كانت سيارتي صاروخاً أقطع به تلك الكيلومترات الثمانين التي تفصل بيني وبين وداد.. كنت أشعر وكأنني أنزع عن كاهلي أحاسيس تلك السنوات الخمس التي باعدت بيننا.. كنت أكاد أشعر بأن الزمن يتناقص ليصل إلى تلك اللحظة التي كان عندها بدء الفراق ليبدأ من جديد عهد نستكمل فيه أنشودة العشق الأبدي.

أقبلت على الطريق الترابي الذي يفصلني عن مرتع صباي ومنشأ أحلامي وحبي عندما اضطررت إلى التوقف جانباً بسبب جنازة مقبلة.

سامحك الله ثانية يا أماه.. أما كان لطيفك أن يهل عليّ مبكراً فأعوضها عما عانت قبل أن أواري جسدها التراب مثلما واريت حبها كهف التناسي منذ ألف عام مضت!!.

القلب الوحيد

ينتباني خوف عند قدوم كل خريف كغاصب محتل لأيام عمري شهوراً ثلاثة .... أشعر بانقباض في قلبي ... وبرعشة تسرى في أرجاء جسدي ... وبشرة تنسحب عليها صفرة مريض متشبث بالحياة يشعر بدنو أجله ... هكذا أنا كل خريف .. أشعر بأن ورقة عمري ستسقط من شجرة الحياة مثلما تتساقط الأوراق من حولي .. تمر الدقيقة كأنها دهر .. أتعجل الثواني، ولكنها متثاقلة تسير كأنها لا تشعر بما أعانيه.. أجد في ضوء النهار بعض الطمأنينة المسلوبة مني.. تؤنسني صرخات الأطفال .. المشاحنات الزوجية.. ضجيج المركبات .. أجد في كل هؤلاء رفقاء لي في صمتي وخريفي .. إذ ترحل الشمس ويزحف الليل تضيع منى بقايا الطمأنينة وينفض عنى رفقائي .. انزوى الأطفال في غرفهم .. هدنة سادت بعد أن اعتذر الأزواج عن خطأ لم يبدر عنهم.. هدأت حركة المركبات .. عند ذلك لا أشعر إلا بأنفاسي كأنها ريح عاتية، فالصمت مطبق والوحدة هدوء قاتل يبعث على الجنون .

– مـاذا أفعـل؟ مـا زال الوقـت طويـلاً حتـى يأتـي الصبـاح؟!!

لـماذا لا أجـد الملـل يتسـرب إلى نفسـي مـن تكـرار حـروف في اتسـاق منتظـم ضجـر اللسـان مـن نطقهـا ليلـة بعـد أخـرى؟!.. ربمـا لأنـني لم أجـد في حـوادث الحيـاة مـا يبعـث علـى إثـارة سـؤال أو أسـئلة جديـدة تلـح في طلـب إجابـة، فلقـد تتابعـت الأيـام والشـهور والسـنوات متشـابهة .. عمـل .. مـرض .. إجـازة .. ثـم عمـل مـرة أخـرى!!

لم أجـد عنـد الآخريـن ثمـة سـؤال يقـض مضاجعهـم، فالوجـوه دائمـاً عليهـا ألـف علامـة اسـتفهام عندمـا تكـون وحيـدة .. إذ تحـاول الاقـتراب منهـا راغبـاً في إذابـة هـذا الجليـد المتراكـم علـى قسـمات الوجـه تنـأى المسـافات.

إذاً .. مـا مـن سـؤال عنـد الآخريـن ... فهـل أسـتطيع أن أبحـث عـن سـؤال جديـد أسـاءل بـه نفسـي عنهـم .. عندئـذ نظـرت إلى صمـتي وخريفـي فأدركـت الإجابـة .. هكـذا لم يكـن مـن مفـر سـوى أن أسـتأنس بسـؤالي الرتيـب «مـاذا أفعـل؟!! مـازال الوقـت طويـلاً حتـى يأتـي الصبـاح؟!!»

كنت آنذاك أتدثر بعباءتي الصوف.. خانقاً قدميّ بجورب من الصوف وفوق قمتي غطاء الرأس .. هكذا أنا بعد أن يهبط الليل فتهبط معه نسمات برد أخشى أن تتسلل إلى جسدي المتهالك فلا يكون أمامي سوى أن «أدفنه» داخل كم من الملابس الثقيلة لا يكاد يظهر مني سوى عينين مصوبتين على اللاشئ، كأني فارس من فرسان العصور الوسطى يستعد لنزال.

تزاحمت الإجابات داخل رأسي على سؤالي اليومي الرتيب حتى تراءي لي أنها في طريقها للتشاحن .. وسرعان ما أخذت الأمور مأخذ جد حتى لا تضطرب داخل رأسي الصغيرة فيحدث ما لا يحمد عقباه.

هكذا أدركت أنني عليّ أن أكون قاضياً لأحاول أن أنصب ميزان العدل بين كل تلك الإجابات .. يا له من شرف لا يدانيه آخر .. وهكذا وجدت نفسي في زهو وخيلاء فحلق بي الخيال إلى عالم ملؤه الزيف .. مصلوبة فيه الحقيقة على الشفاه.. مقلوب فيه ميزان العدل.. وكأني سندباد برز من وراء البحار معتلياً الأمواج المتلاطمة أو فارس نبيل برز من وراء الجبال التي لا تدركها العيون.. أجئ فأعيد الأمور إلى نصابها وأضبط ميزان العدل .. ذلك لم يطل فسرعان ما هبطت بعد تحليق في سماء

الخيال لأحاول تحقيق حلمي الصغير في أن أنصب ميزان العدل بين المتنازعين على دخول رأسي.

- ماذا أفعل؟!!

يالـه من سؤال لعين لا يكف عن طلب إجابة .. دائماً يطاردني كقدري.. أحاول في أحايين كثيرة أن .. أكون ثعلباً ماكرا فأتصنع النوم للهرب منه ولكنه يبدو أكثر مكراً مني إذ أجده قد عقد تحالفاً مع النوم أن يحرمني إياه كي أظل في صحبته طيلة ساعات الليل الرتيبة.

فلأبدأ إذن جلسة كل ليلة... واستدعيت المتنازعين فإذا بهم مدعى الأمس والغد .. الكتاب .. ألبوم الذكريات .. رسائل الغرام القديمة .. التلفاز .. المذياع..

هكذا جاءوا جميعاً يطرقون باب رأسي يطلبون الإذن بالدخول.. كأنهم يعرفون ميعاد رحيل الشمس ... يبدأون طرقهم ولا يكفون حتى أسمح لأحدهم بالدخول ... اليوم طالت مدة انتظارهم.. أعرف أنهم يعرفون إذ إنهم حتى هذه اللحظة لم يكفوا عن الطرق الذي تعالت دقاته حتى كدت أشعر بدوى في رأسي وصمم في أذن تقاوم العطب الذي لحق برفيقة ميلادها.

كأنهم أسرى يطلبون الحرية .. هكذا شعرت بهم .. ووجدت في نفسي سؤالاً جديدا «لماذا تأخرت في إصدار قراري العادل؟!!».. المدعون حضروا .. كل تسبقه حجته في دخول رأسي قبل الآخر.. لم يبق سوى أن أصدر قراري بالإذن بالدخول .. كنت فرحاً بالسؤال الجديد حتى كدت أنسى أكثر الأشياء أهمية وهو الإجابة عليه!!

اعتدلت قليلاً في جلستي فوق مقعدي الهزاز الذي شعرت به يئن من ثقلي الكائن فوق قوائمه الأربعة التي دبت فيها الشيخوخة .. كان كرسياً عتيقاً لو أنطقه الدهر لكان شاهداً على العالم بأسره .. هو أكبر مني عمراً فلقد ابتاعه أبي لأمي قبل أن تقذف بي إلى هذا العالم التعس بثلاثة أسابيع.

عندما تذكرت ذلك شعرت بضميري يلسعني بسياط من خجل إذ كيف يسيطر على ذلك الجبروت الإنساني فلا تجد الرحمة إلى قلبي طريقاً حتى ولو كانت مسداة إلى جماد من خشب ... ووجدت في الانتقال إلى مقعد في طور الصبا راحة لي من هذه السياط اللعينة.

أعدت ترتيب الأمور على ما كانت عليه في بادئ جلستي فدفنت جسدي ثانية في العباءة الصوف.. كان الطرق قد تلاشي خلال ومضة الذكرى السالفة إلى أن فرغ ذهني منها ولم تبق منها

إلا صور مشوشة تلاشت تماماً بعد أن أخذت وضعي على المقعد الجديد جالساً القرفصاء كالكاتب المصري القديم ! !

حينذاك .. بدأ الطرق مرة ثانية .. عنيفاً ... عجولاً.. يطلب تنصيب ميزان العدل.. وهكذا عدت إلى سالف ما كنت أحاول الهرب منه بالذكرى العابرة.. وكان أمراً عجباً أن أرى سؤالي الجديد قد تآمر ضدي هو الآخر واشترك معهم في هذه اللعبة السخيفة.

هاأنذا أحاول نبذ ما كنت أرغبه .. سؤال جديد يبحث عن إجابة في رأسي.

– لماذا تأخرت في إصدار قراري العادل؟ ! !

لم يكن سؤالاً من نتاج عقدة فيستحق أن أقدح زناد فكري ناشداً له إجابة.. بل كان سؤالاً من نتاج ملل وضجر من هذا التكرار السخيف... هكذا ماتت الفرحة به عندما تنسمت أول نسمات الإحساس الحقيقي به .. وهكذا أيضاً كانت إجابته المنشودة ! !

أحلم بالأموات

في سن العاشرة :

مات أبي منذ عامين واضطرت أمي للخروج للعمل لتحصل على ما يسد رمق أفواه ثلاثة : أنا وجدتي لأبي وهي ...

كانت أمي تخرج منذ الصباح الباكر ولا تعود إلى البيت إلا بعد أن يكون الليل قد أسدل أستاره .. كانت تعود منهكة وقد استبد بها التعب فشحب لونها وهزل جسدها واختفت تلك الابتسامة الجميلة التي كانت تملأ وجهها عندما كان يعود أبي فرحاً بعد أن حقق ربحاً من بيع الفاكهة والخضار.

كانت أمي تستقبله بتلك الابتسامة الساحرة فتزيل عنه آثار يوم طويل من الإجهاد .. كنا نجتمع مساء على الطبلية فنتناول طعامنا ويقص علينا أبي من حوادث يومه الكثير مما يضحكنا ومما كان يشعرني بالعطف على أبي الذي يبذل الكثير لنا من أجل أن يوفر لنا عيشاً كريماً.

ذهب كل ذلك .. وكأن شيئاً مما كان لم يكن .. مات أبي وحلت أمي محله .. لم تعد تعرف جدتي معني الابتسامة .. اكتست ملامحها بحزن عميق زادها عمراً كعمر الجبال على سني عمرها الستين.. صار بيتنا كالقبر .. لا شئ يحتويه سوى الصمت الموحش ورائحة الموت.

إذ تعود أمي مساء تبدأ – في صمت – إعداد بعض الطعام لنا .. أنادي جدتي.. يجلس ثلاثتنا.. ترتفع أيدينا بالطعام إلى أفواهنا لكننا لا نتذوق شيئاً مما نأكله .. ترفع أمي الطعام ثم تضع طرحتها السوداء ذات الثقوب المختلفة الأحجام فوق رأسها وتخبر جدتي أنها ذاهبة إلى «الشليش».

أبكى على فراق أمي فتسحبني جدتي من يدي وتقص علي بعضا من سير الراحلين..أتثاءب وألقى بجسدي في حجرها الناحل.. تمر بيديها المعروقتين على رأسي وجبهتي .. أتوارى رويداً رويداً في جب عميق .. تتراءى لي أطياف بيضاء تحلق في سماء من الألحان الشجية التي لا أدري مصدرها .. لا أتحقق من كينونة تلك الأطياف وإنما أتلمس فيهم وجوه الأحباء الراحلين ومن بينهم وجه أبي.

في سن الخامسة عشر:

ماتت جدتي وتزوجت أمي .. لم أستطع أن أفهم كيف هانت ذكرى أبي على أمي ؟! كيف ارتضت أن تكون زوجة لغيره .. تغسل ملابسه وتعد طعامه وتنال منه لذتها .. كيف؟!!

كاد عقلي ينفجر من ألف كيف لم أجد لها إجابة .. في يوم زفافها أخبرتني أنني ما زلت صغيراً وأنني سأفهم عندما أكبر..

– خمس عشر عاماً ولا زلت صغيراً!!

أخبرتها أنني سأعمل ليلاً ونهاراً ولن نحتاج إلى ما يكفلنا مادياً .. لمحت دمعتين تنسدلان على وجنتيها حاولت إخفاءهما .. أمسكت برأسها بين يدي وسألتها: «لماذا؟!!».. ران عليها الصمت المطبق .. دفعت يدي بعيداً عنها .. انزويت في ذات الركن التي كانت تجلس فيه جدتي منذ سنوات خلت.. أخبرتها أنني لن أذهب معها إلى بيته.

تزوجت أمي ولكنها تمضي جل يومها معي .. تنظف البيت وتغسل ملابسي وتعد طعاماً لا آكله .. إذ يأتي المساء وأبقى بمفردي ..تفترسني أسئلة بلا إجابات.. صار البيت القديم أكثر وحشة .. الجدران ازدادت سوادا.. انمحي لونها الزاهي القديم.

عندما أخلد إلى النوم تتراءى لي أطياف بيضاء تحلق في سماء من الألحان الشجية التي لا أدرى مصدرها .. لا أتحقق من كينونة تلك الأطياف وإنما أتلمس فيهم وجوه الأحباء الراحلين ومن بينهم جدتي.

في سن الثلاثين:

ماتت أمي .. ازدادت جدران البيت سوادا .. لم يبق شئ يدل على لونها القديم ،عاشت أمي جل عمرها في شقاء دائم، لم تتخلله إلا لحظات قليلة من الهناء، عاشت لا يدري أحد بشقائها ورحلت لا يتذكرها أحد .. سار وراء جثمانها ثلاثة أشخاص .. أنا وزوجها وجارة قديمة مازالت على عهد الوفاء القديم .. تجدد داخلي إحساس قديم باليتم.

كنت أنظر إلى جثمانها وأتساءل هل ما زالت تشعر بالشقاء أم أن إحساسا بالراحة قد بدأت تستشعره الآن ؟!.. ما جدوى الحياة إذا كانت هكذا هي النهاية؟!!

صراع وشقاء وآمال عظيمة تصبح انكسارات عظيمة .. أتصبح الراحة في الموت حقاً ؟!! رباه !! هبنى القدرة على الفهم .. لماذا يبدو كل شئ ضباباً غير قابل للاختراق !! لماذا يتبدد كل شئ في عين وجوده.

اليوم ماتت أمي وبالأمس القريب ماتت قصة حب في مهدها.. حادثتها عن الصبر وسنين الكفاح والمستقبل الذي نصنعه بجهدنا وعرقنا .. لم تحاول أن تسخر مني .. سألتني سؤالا لم أستطع إجابته.

– في كم سنة تستطع ادخار مبلغ يكفي لغرفة وصالة؟! ثم كيف ستؤثثهما؟!! هل حصلت على وظيفة أم لازلت تبحث؟!!

تركتها وإحساس الهزيمة يقهرني.. القلب محطم والآمال صريعة على أعتاب المستقبل.. خلدت إلى النوم يأسا فتراءت لي تلك الأطياف البيضاء التي تحلق في سماء من الألحان الشجية التي لا أدرى مصدرها.. لا أتحقق من كينونة تلك الأطياف وإنما أتلمس فيهم وجوه الأحباء الراحلين ومن بينهم أمي ومحبوبتي.

في سن الستين:

خرجت معاشاً مبكراً كغيري من التعساء ... كنا صحبة من ثلاثة نقضي نهارنا في التسكع وارتياد الندوات ولعب الطاولة .. أيام لحقت بها أسابيع ثم استطالت لتصير سنين .. تمضي أيام كثيرة نجلس ولا نتحادث .. لم يعد هناك شيئ جديد يستحق عناء الحديث عنه .. حتى الأحداث المعاصرة من رياضة إلى سياسة إلى انتخابات إلى ديمقراطية تمارس قولاً لا فعلاً.. يهود يعيثون

بالمقدسات فساداً وأمةٌ لا تحمل في جوفها سوى الخطب العنترية وحكام لا يغادرون كراسيهم إلا بالاغتيال .. لم يعد هناك معنى لكل ذلك .. كل شئ فقد بريقه .. لم يعد هناك جدوى من وراء أي شئ.

كانت كل تلك الأحاسيس تعتمل في صدورنا نحن الثلاثة، يكاد كل واحد منا يحس بها في صدر أخيه.. آخر مرة جلسنا معاً لم نتصافح، ولكننا نهضنا وودعنا بعضنا البعض .. وافترق كل منا في طريق .. كانت الدموع تنهمر من عيوننا وتبلل ذقوننا البيضاء.

عندما خلدت إلى النوم في بيتنا القديم الذي استعاد بعضاً من لونه القديم تراءت لي أطياف بيضاء تحلق في سماء من الألحان الحزينة التي لا أدري مصدرها.. لم أتحقق من كينونة تلك الأطياف وإنما تلمست فيهم وجوه كل الأحباء الراحلين: أبي وجدتي وأمي ومحبوبتي ووجهي.

أحدهم

يومه الأخير بينهم مازال ماثلاً في أذهان الكثيرين من زملائه رغم نأي السنين وتتابع الحوادث .. صبيحة ذلك النهار – القاصي الداني– لم يكن لينبئ بما يخبئه له ! !

عندما أقبل إلى حيث عمله اليومي الرتيب لم يكن به شئ غير ما عهده عليه أخلص خلصائه .. الخطوات المقهورة المتثاقلة وكأنها قد قيدت بحديد لا يفل .. أمل الغد الذبيح في عينيه .. رغم ذلك فمازالت دهشتهم إزاء بشاشته التي لم تغب – من قبل – وإزاء ما حاق به – من بعد – موضعين لتفسيرات شتى ! !

يتذكرون جيداً ذلك اليوم .. بدقائقه وتفاصيله .. يتذكرون سؤال المدير عنه فور نزوله من سيارته.. استدعاءه إلى مكتبه قبل أن يبلغ المصعد .. ذلك ما أيقظ في رؤوسهم أسئلة لم تجد إجابات في حينها (لم يفعلها المدير من قبل مع أحد من كبار الموظفين فكيف وهو من صغارهم ؟! !) الحق أن ذلك الحدث الفجائي قد أثار فضولهم مثلما أثار إشفاقهم عليه.

هكـذا أقبلـوا عليـه في ردود فعـل متباينـة بـين استفسـارات عـن خطـأ اقترفـه نمـا إلى علـم سـيادته .. ثمـة توصيـة .. صلـة قرابـة لم يخبرهـم عنهـا ..لم يبـدوا دهشـتهم .. العائـلات بـين غـني وفقـير .. أرادوا منـه تأكيـداً.. ظنـوا نفيـه لاسـتنتاجاتهم خبثـاً ومـداراة منـه .. بعـض خلصائـه حاولـوا طمأنتـه .. تهدئـة سـريرته القلقـة .. طالمـا أنـه لم يصـدر عنـه خطـأ مـا فليـس هنالـك مـا يسـتدعي الوجـل .. ذلـك أمـر مألـوف .. لسـوف يحـدث كثـيراً مـا دام هنالـك رئيـس ومـرؤوس ..فليذهـب إليـه وعندئـذ ينجلـي مـا غمـض مـن أمـور! !

هكذا ذهب إلى سيادته تشيعه نظرات الفضوليين والمشفقين! !

مـن مفـردات مـا يتبـادر إلى ذاكرتهـم – إذ يتذكرونـه – اللمبـة الحمـراء الـتي أضيئـت فـور دخولـه المكتـب الوثـير .. أخبرهـم عنهـا عامـل البوفيه،هكـذا أخـبر الذيـن أرسـلوه في عقبيـه مسـتطلعاً بطرائقـه الطفيليـة بعضـاً ممـا يلـوح في الأفـق.

مـا تـلا ذلـك مـن أمـور لم يكـن ليتوقعـه أخصبهـم خيـالاً.. بعـد دخولـه إلى المديـر مباشـرة تبعتـه فتـاة قمحيـة البشـرة ترتـدي فسـتاناً زاهيـاً وخلفهـا في سلسـلة أنيقـة كلـب صغـير الحجـم كثيـف الشـعر بـني اللـون.

تفرقت بينهم سبل اليقين إزاء كينونتها .. بعضهم أكد أنها خطيبته التي أتت لزيارته منذ شهرين واحتفوا بها تكريماً له .. صادف زيارتها مرور سيادته في جولة تفتيشية .. إذ رآها استوقفها وأبدى استحساناً نطقت به عيناه ! !

يتذكرون – فيما بعد – أن أكثر ما كان يحيل بشاشته كدراً، ويستدعي كرباً من أعماقه يستشعرون وطأته على قسمات وجهه سؤالهم عنها وعن ميعاد زفافهما ! !

كثيرون أنكروا ذلك .. أكدوا استحالة كون تلك الفتاة النحيلة التي رأوها قبل شهرين هي نفسها تلك الفتاة «الهانم» التي رأوها قبل دقائق تدخل إلى مكتب سيادته في رقة ودلال .. هكذا انقسموا فريقين .. بين مؤكد ومتشكك .. خلف الباب الموصد الذي تعلوه لمبة حمراء مضاءة . كانت الحقيقة جلية واضحة وغائبة عنهم ! !

إحدى عشرة دقيقة مضت قبل أن تنطفئ اللمبة الحمراء .. اشرأبت الأعناق متطلعة لكشف المستور .. معاً خرج الثلاثة .. هي في المقدمة يتبعها كلبها .. المدير ثم هو .. انصرفو إلى المصعد وعاد هو إليهم ! !

مـا لاحظـوه باديـاً علـى قسـمات وجهـه لونـاً باهتـاً وعينـين زائغتـين.. في ابتسـامة صريحـة علـى شـفتيه أخبرهـم أن المديـر قـرر نقلـه إلى فـرع الشـركة في مرسـى مطـروح لكفاءتـه !! حـط عليهـم صمت القبـور .. لم يـدروا .. أيهنئونـه أم يبكونـه ؟!! ثمـة مواقـف كثـيرة يقـف الإنسـان حيالهـا صامتـاً لا يسـتطيع جوابـاً. لم يطـق أحدهـم صـبراً فأقبـل مستفسـراً عنهـا. مضـت دقيقتـان مـن صمـت ثقيـل قبـل أن يخبرهـم بأنهـا ليسـت خطيبتـه .. عـاد إلى مكتبـه بينمـا تقابلـت نظراتهـم لتشـكل علامـة اسـتفهام حيـال إجابتـه غـير المحـددة.

بسـرعة لم يدركوهـا تتالـت الأحـداث .. بدأهـا عندمـا فرغـوا مـن أحاديثهـم الجانبيـة، وإذ عـادوا إلى مكاتبهـم راعهـم مـا رأوه .. فـوق مكتبـة كان يقـف عاريـاً تمامـا.. تمامـاً كأنـه يسـتعد لمعانقـة البحـر!!!

إحداهن

- صباحاً:-

ولوجهـا البـاب الرئيسـي يثـير مشـاعر متباينـة .. بين ود مشـوب بترقـب وحـذر ومقـت مضمر مسـتتر .. إذ تجتـاز الممر المـؤدي إلى المصعد يـدب علـى الجميـع صمـت ثقيـل فـلا يـكاد يسـمع غـير تـردد وقـع أقدامهـا .. حضورهـا الرسمـي جلـى الملامح.. عينـان واثقتـان متحديتان .. عنـد مثولـة الأول أمامهـا ذكـر مديـر شـئون العاملين أنه حملـق فيهما مليـا إذ كانـت تتصفـح بعـض الأوراق .. ممـا أثـار عجبـه وحيرتـه أنـه لم يلحـظ انطبـاق الجفنـين لدقائـق !! .. حركاتهـا تظهـر إصـرارا قديما سـكناتها ناطقـة.. ذهبـت تفسـيرات شـتى إزاء دوران إبهاميهـا!!.

مجيئهـا منـذ اللحظـات الأول كان رسمـي الحضـور .. قابلـت عبـارات التهنئـة بإيمـاءة رأس وابتسـامة مبتسـرة .. عنـد مثولـة أطلعهـا علـى الأقسـام المختلفـة للمؤسسـة وطبيعة مهـام كل قسـم .. في اجتماعها الأول مـع رؤسـاء الأقسـام ألمحـت كثـيراً إلى عـدم تهاونهـا مـع المخطـئ أيـا كان منصبـه .. أثـار ذلـك حفيظـة البعض .. سـرت أحاديث جانبية

خاطفة ونظرات ذات مغزي . الموظفات على اختلاف أقسامهن اختلفن في تقدير عمرها .. بعضهن قدرن عمرها بأربعين .. أخريات زدن أو انتقصن خمسا.. مما اتفقن عليه أنوثتها الزاوية خلف الأصباغ.

عندما استدعته بإيعاز من رئيس قسم الشئون الخارجية مثل أمامها في طوله الفارع .. ذكر ملفه الخاص أنه يعمل في قسم العلاقات العامة منذ شهرين .. عند خانة الحالة الاجتماعية توقفت .. أعزب رغم دنوه من الخامسة والثلاثين .. حدجته بنظرة جانبية فأمعنت .. لم تستطع مغالبة إحساس عارم برؤيتها له قبل الآن .. أهو؟!!.. الشبه كبير .. لولا الاسم لأيقنت أنه هو.

– طبيعة عملي تضطرني – رغما عني – إلى إنفاق وقت أكثر .. لكن هذا يثمر، وذلك موضح من خلال الصفقات التي أجريتها .

حتى وإن كان كاذباً فقد التمست له العذر مسبقاً.. ألم يحرك ذكرى جميلة كم ظلت خامدة ؟!!.. أوقات الفرح العذري .. ألم يثر نهر حياتها الساكن منذ دهر؟!!

عند انصرافه فرت من رسميتها خاصة بعد إطرائه الخاطف على تفهمها وردائها.. أخرجت مرآتها فأمعنت النظر!!

- **مساء:**

البيت .. حوائط أربعة وذكريات أخوة تشتتوا بعد وفاة الأب والأم .. بقيت بمفردها .. سكنت الصمت والفراغ والفراش البارد .. الوحشة مسيطرة .. رائحة الموت كامنة في الأركان .. لا شئ يعدل صراخ طفل أو قبله زوج يدفئ الفراش خاصة في أمسيات الشتاء المضنية..

«هل كان جادا في إطرائه أم تراها كانت مجاملة عابرة؟!!»

عندما ولجت غرفتها هاجمها الخواء .. نادتها مرآتها فلبت .. عندما أزاحت حمالتي القميص أدامت النظر وكأنها تكتشف كنوزها للمرة الأولى .. جسدها حديقة غناء بكل ثمارها.. تأسف إذ لم يعبث بها أحد إلى الآن .. استلقت عارية في منتصف فراشها البارد .. جذبت وسادة ومصرتها بين فخذيها.. بين أفول يقظة ووسن لم يكتمل أتاها!!!

- **صباحاً:**

عند ولوجها الباب الرئيسي لاحظ بعضهم احمرارا طبيعياً متدفقاً من وجنتيها وفرحاً طفولياً يطفق من عينيها .. تباينت التأويلات وأرجعتها إلى القطرات الندية التي بللت الفراش!!

سعي

قديما ذكر أحد العارفين ممن خبروا الحياة، ظاهرها وباطنها، شكلها وجوهرها، ممن أوقفوا حياتهم وعلمهم على دراسة النفس الإنسانية وسبر أغوارها واستبيان كنه وجودها، ذكر أن الوجود يبدأ من العدم تماماً كما يبدأ العدم في عين لحظة الوجود.

مما لا يرقى إليه الشك، من الثابت، من المقطوع به أن بين زمان كل حركتين توجد لحظة سكون، تماماً كما كان ذلك الجبل يفصل بين المشرق والمغرب.. ممتداً .. مستقيماً بلا انحراف أو اعوجاج كأنه ملتف حول الكرة الأرضية فليس له ثمة بداية أو نهاية.

في الجزء الذي تشرق عنده شمس الكون أقيمت بيوت جد قديمة .. متهالكة توشك على التداعي ... كأنها قد باحت بكل أسرار وجودها فلم يبق شئ يزيد من رسوخ كيانها فأصبحت محض خواء .. هيكلا لا ينبئ عن جوهر موغل في النقاء والأصالة.

كان ذلك الجبل الموغل في الرسوخ والشموخ كأنه عملاق نائم من الأزل إلى الأبد .. كان فاصلاً بين جهتين إحداهما معلومة

والأخرى مجهولة .. أما المعلومة فكانت تلك البيوت المتداعية قد تراصت إلى جوار بعضها البعض في اتساق حيناً وفي عشوائية حينا آخر .. هكذا بعد أن باحت بأسرارها الحقيقية.. بعد أن أبانت مكنوناتها فأفاضت، لم يعد هنالك ثمة شئ خبئ.. كل شئ سافر سفور الشمس يفصح عن مكنونه ودخائله .. تلك كانت الجهة المعلومة .. المدركة لكل قاطن فيها أو وافد عليها.

أما الجهة المجهولة فكانت تلك البقعة الكائنة خلف الجبل والتي تغيب عندها شمس كونهم كأنها طلسم سحري لم يستطع أحد من قبل فض مغاليقه أو كأنها قدس الأقداس الذي لا يجرؤ أحد على انتهاك حرمته وإلا حلت عليه اللعنة، أو كأنها قد أحيطت من كل اتجاه بثمة حاجز لامرئ فلا مجال للنفاذ من خلاله إليها.. هكذا كان قاطنو الجهة المعلومة يعتقدون في سرائرهم وهم يراقبون – في مهابة وإجلال – انحدار شمس كونهم كل يوم عندها وقت المغيب.

إذا ما من مخلوق أحاط بتلك الجبهة المجهولة علماً.. قديماً ذكر حكيم قديم قبل أن يُدك عنقه في أحد عصور الظلمة البائدة أنه عندما تجهض الحقائق في العقول تولد الخرافات والأوهام وتصير كأنها الشموس المشرقة أو النجوم الزاهرة.

هكذا صارت تلك الجهة المجهولة موطنا للأساطير تنسجها الأجيال المتلاحقة.. صارت أملاً وألماً .. صارت أملاً في إدراك كنهها والوقوف على تخومها والتماس الوسائل إلى ولوجها والذوبان في رحمها .. ما من مجهول يظل مجهولاً على الدوام .. وما من منغلق لا يبين.

وهكذا أيضاً ظل الأمل قائماً في الصدور .. نابضاً ينطق بالحياة، وكأنه رسالة سماوية يتوارثون جميعهم – صغيرهم وكبيرهم – شرائعها وأركانها، على أن هذا الأمل كان في حقيقته منطوياً على ألم عظيم يعبث به ويحيله يأسا مظلماً؛ ذلك أن المجهول يرتبط دوماً بالمؤلم من الحوادث والأمور، فالعاصفة التي تكر عليهم ليست إلا مجهولاً يطبق عليهم من شتى الاتجاهات ليشتتهم ويقذف بهم حيث التيه والضياع، أما السيل إذ ينحدر فمجهول يحمل في طياته نهايتهم .. ما الموت إلا مجهول يحط على المرء وكأنه طائر الرخ الخرافي يلتقطه فيذهب به إلى اللارجعة.

على هذا النحو امتزج الأمل والألم وكأن امتزاجهما لم يكن في كنه الأمر إلا صراعاً قائماً ومشتعلاً في سرائر قاطني الجهة المعلومة بين الإقدام والإحجام.. بين الإقبال على اجتياز ما لم يُجتز من قبل والإدبار عنه مهابة وخوفاً.

تقول إحدى الروايات المتناقلة شفاهة أن أحدهم نازعته الرغبة في السعي إليها وقطع الشك باليقين .. كان شاباً دون الخامسة والعشرين ... ملؤه حماس ورغبة تتأجج في كشف الخبىء وإيضاح ما غمض.

هكذا خرج عليهم ذات صباح بعيد وهم على روتيناتهم اليومية عازماً على سعيه وراء المجهول.. ذاك يومه الأخير بينهم وغداً يبدأ سعيه .. البعض أشفق عليه والكثيرون سخروا منه، لكن إشفاق هذا أو سخرية ذاك لم تثنه عن عزمه. أفصح عن سر سعيه قائلاً إن أوعر ما يصادفه المرء انتظاره المجهول .. ذاك انتظاراً للموت .. لا يدرون ماذا حدث له؟!! ماذا أصابه؟ .. صباحاً.. عند أول ضوء يعلن مقدم النهار .. في الميعاد المحدد لبدء سعيه خرج عليهم في هيئته التي عهدوها عليه لكنه جد مغير .. أضحي مخلوقاً آخر .. شرد.

وجم القوم وشططت بهم الاجتهادات والتفسيرات إزاء ما حاق به .. لم يكن سعيه وما لحق به إلا نقطة فارقة بين نقيضين .. بين الأمل والألم.. هكذا تبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود .. كان احتواء الأمل أمراً لا مفر منه حتى لا يلحق بهم مثلما قد لحق بصاحبهم .. كان احتواءً لم يلبث أن صار انتزاعاً من الصدور .. هكذا اتفق القوم دونما اتفاق .. وكأنهم أدركوا جميعاً – في عين اللحظة – ما يتربص بهم من خطر عظيم، وما

يحـدق بهـم مـن شـر مقيـم إن هـم أقدمـوا.

بيـد أن ذلـك لم يكـن حائـلاً أمامهـم خاصـة بعـد مـا تـردد عـن سـبب آخـر لسـعيه .. تلـك الخبيئـة الذهبيـة في مـكان مـا مـن الجبـل .. للوصـول إليهـا هنالـك علامـات دالـة تسـفر عـن كينونتهـا فقـط لمـن يسـعى ولكـن مـن يجـرؤ؟!!

هكـذا لم يثـن مـا لحـق بصاحبهـم عـن وهـن في إتيانهم مـا لم يأته .. كان وحيـداً .. مبتوتـاً عـن رفقـة تؤنـس وحشـة ليلـه وترطـب هجـير نهـاره خاصـة عنـد الإيغـال في ذكل الجـزء الصحـراوي الـذي يفصـل بـين موطنهـم والجبـل .. هنالـك تـزداد الوحشـة ويوقـن المـرء بالهـلاك وتنقطـع مـا بينـه ومـا بـين الحيـاة مـن أسـباب .. لربمـا أدرك صاحبهم ذلـك فخـارت قـواه ووهـن عزمـه فكان مـا كان مـن أمـره .. كان وحيداً، أمـا هـم فثلاثـة تأتلـف قلوبهـم نحـو تحقيـق غايـة واحـدة .. كُلٌّ يجـد في صاحبـه مصـدراً لطمأنينتـه وزوالاً لهواجسـه واضطرابـه وخوفـه.

ذاك مـا كان يـدور في خلدهـم قبـل بـدء سـعيهم .. مـا مـن إحسـاس مريـر بالوحـدة والوحشـة يأخذهـم مـن أنفسـهم ويذهـب بألبابهـم ولكـن يبقـى ذلـك الإحسـاس الرهيـب بالقلـق يداهـم المـرء إذ يُقبـل علـى أمـر جلـل.. مـا مـن شـك أنهـم قـد أحسـوا وطأتـه عليهـم بعدمـا لحـق بصاحبهـم مـن خبـل بعـد شـرود وتيـه.

هكـذا تأرجحـوا بين الأمل والألم .. الخبيئة الذهبية والخَبل..ذلك المصـير المعتـم الـذي قد يلحق بهم إن هم أقدمـوا .. ولكن من يدري؟!!.. فلربمـا ينالـوا مـا لم ينلـه أحـد مـن قبـل .. مـا من شـئ ذى قيمـة دونما نصـب .. دونمـا عنـاء ومكابـدة .. فليقدمـوا إذاً وليسـعوا لعـل وعسـى.

وكأن مـا يـدور داخـل أفئدتهـم وظنـوه سـراًّ مطويـاً بـين ثلاثتهـم لم يكـن إلا أمـراً ذائعـاً بـين قومهـم .. لربمـا رأوه في اجتماعهـم دومـاً، ونفورهـم مـن أقرانهـم، وانقطاعهـم عـن مجالـس سمرهـم ومـا بـدا عليهـم مـن حـذر وترقـب شـديدين، وشـت بـه عيونهـم القلقـة فحـاروا في أمرهـم كمـا حـاروا مـن قبـل في أمـر صاحبهـم.. ولكـن مـاذا يفعلـون ؟!! أي أمـر يأتونـه وقـد أعـدوا للأمـر عدتهـم وعبثـاً كل العبـث إثناؤهـم عمـا قـد عقـدوا العـزم عليـه.

فليذهبـوا إلى شـأنهم وليسـعوا وراء مـا يبغـون سـريعاً قبـل أن يكونـوا مصـدراً لإغـواء الآخريـن!!

هكـذا قـرر الكبـار مـن القـوم مـا يجـب اتخـاذه حيالهـم .. ولله الأمـر مـن قبـل ومـن بعـد.

كان بـدء سـعيهم يومـاً مشـهوداً حتـى أن كثـيراً مـن أمـور حياتهـم وحوادثهـا أضحـت تـؤرخ بـه بعـد ذلـك فيقـال مثـلاً كان

هـذا الأمـر قبـل خـروج الثلاثـة بشـهر.. هكـذا احتلـوا تاريخـاً محـدداً في ذاكـرة قومهـم .. مـا غـاب عنهـم قـط .. كأنـه قـد صـار مقترنـاً بحياتهـم ورسـوخ بقائهـم.

عندمـا كانـت الشـمس تولـد مـن رحـم الليـل وكانـت هنـاك بقايـا مـن ضبـاب يحيـط بالجبـل فـلا يسـفر عـن كامـل كينونتـه كانـوا جميعـاً هنـاك .. هـم في المقدمـة ومـن خلفهـم قومهـم وقـد بـدت علـى وجوههـم المكفهـرة ملامـح مـن الإعجـاب ممتزجـة بالإشـفاق وجميعهـا تترقـب وترصـد مـا سـيأتيه هـؤلاء الثلاثـة المُغـرر بهـم.

دقائـق طـوال ثقـال مـرت كأنهـا الدهـر كان الصمـت فيهـا مسـيطراً فلـم يُسـمع إلا نبضـات القلـوب داخـل الصـدور تخفـق بشـدة وتضطـرب .. عندئـذ انـبرى أحـد ثلاثتهـم وكان أصغرهـم إذ لم يتجـاوز الخامسـة عشـرة معلنـاً أن قـد حـان الرحيـل.

هكـذا بـدأ سـعيهم .. هـم إلى الأمـام يتجهـون صـوب المجهـول في خطـوات وئيـدة وجلـة وقومهـم إلى الـوراء صـوب المعلـوم مـن عالمهـم .. مـا الاتصـال والانفصـال إلا أرجوحـة تتلاعـب بالمـرء .. هكـذا وقـع مـا لم يكـن لهـم بـه عهـد مـن قبـل .. صـاروا إلى انفصـال .. إلى نـأي.

ثلاثة كانوا .. تباينت الطبائع فيما تلاقت الأهداف وتوحدت .. ما تلك الخبيئة الذهبية إلا مبتغاهم .. صوبها تهفو أرواحهم، وفي سبيلها يتضاءل كل إحساس بالنَّصَب والقلق .. هل كانوا إخوة؟! ! ربما إذا كان نزولهم على الجهة المعلومة واتخاذهم لها مستقراً لهم في عين اللحظة .. لم يكونوا من القاطنين الأصليين، بل كانوا وافدين عليهم .. لم ينفوا أو يؤكدوا تساؤل قاطني الجهة المعلومة عما إذا كانوا إخوة أو أصدقاء أو حتى عابري سبيل، وحد بين ثلاثتهم الخوف من وحشة الطريق والسعي منفرداً.

كان أصغرهم دون الخامسة عشرة .. يفيض بشراً ونقاءً لم يعهدوه في صغارهم .. كانت به ملاحة ويفوق أقرانه بقدرٍ غير هيِّن من الذكاء واللماحة .. به إقبال على الحياة وكلف بها .. غير أن رغبته المتأججة في استطلاع ما خفى كانت كثيراً ما تثيرهم وتحيرهم، ولكنه في جميع الأحوال كان يمس بعذوبته شغاف قلوبهم.

ذاك كان أصغرهم، أما أوسطهم فكان ضعف عمره تقريباً، لكنه جد مشاكس .. كثيراً ما كان يلذ له الخروج عن أطوار حياتهم والتمرد على كل تلك الأشياء العادية التي تحكم حياتهم وتسيرها وتحتل مكاناً مقدساً في معتقداتهم المتوارثة جيلاً بعد آخر .. أما ثالثهم فكان شيخاً قد تجاوز العقد السادس من عمره بقليل، لم

يصدر عنه ما يثير ارتباكهم أو وجلهم فكفوا أنفسهم عن التفكير فيه.

و... عندما نظر ثلاثتهم إلى الخلف لاحت لهم حياتهم السالفة نقطة ضئيلة يحيط بها ذلك الجزء الصحراوي الذي يوغلون فيه يكاد يعتصرها فيما تبرز تلك الشجيرات القصيرة الخضراء ومعها أشجار النخيل السامقة ليستنفرا بهائهما وحسنهما فيثبتان ويتمردان أمام سطوة الأصفر المجدب.

ومع الإيغال في السعي احتلت الشمس بحرارتها الحارقة مكانها من منتصف السماء وأرسلت سياطها اللاسعة صوب ثلاثتهم .. عندئذ أدركوا كونهم قد انتصف بهم سعيهم .. آنذاك حانت منهم التفاتة ثانية صوب ما أدركوه من عالمهم فلم يبصروا تلك النقطة الضئيلة التي أبصروها من قبل، إذ كانت الصحراء بمرتفعاتها ومنخفضاتها تحيط بهم وتحدق وهنالك على امتداد البصر كان يبدو أمامهم ذلك الجبل .. موطن أملهم وألمهم .. ممتداً من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق .. هكذا لم يستطع ذهنهم المكدود عقد المقارنة، لكن هكذا كانوا وصاروا أكثر دنواً منه عن ذي قبل.

وكأنه الصراط يفصل بين جنتهم ونارهم .. بين نعيمهم المقيم وعذاب الحريق الأليم. ولعل رجفة شديدة قد زلزلت عندئذ بقايا طمأنينتهم فاكتست وجوههم بصفرة الموت. ولكن ما

من سبيل للنكوص .. ذاك مصيرهم منذ أن اعتملت في أذهانهم رحلة السعي وراء المجهول الكامن خلف الجبل .. تلك الخبيئة الذهبية .. فيها مبتغاهم وأملهم .. تلك مصائرهم المؤتلفة حولها تسير في اتجاه واحد فلا إدبار أو إحجام بل إقبال وإقدام .

مالت الشمس نحو المغيب وخفت حدة الهجير، وأوشكت حلوقهم على الجفاف لولا إدراكهم، لها بقطرات من الماء رطبتهم وبعثت فيهم نشاطاً جديداً وقوة دفعتهم إلى مواصلة سعيهم دونما توقف، فيما ألقى ذلك العملاق النائم بظلاله الهائلة فأفاض على المكان مهابة ورهبة حركت فيهم ثانية تلك الزلزلة التي عبثت بهم من ذي قبل فعصفت بهدوء سرائرهم وأشلاء طمأنينتهم بيد، أنهم في تلك المرة لم يستطيعوا اعتصارها داخلهم وقد اختفت الشمس – مصدر أمنهم وأمانهم – تماماً فجثم الليل على البسيطة كوحش أسطوري فاغراً فاه ليلتهمهم قبل إدراكهم مبتغاهم.

هكذا أرهقهم السعي ونال منهم النصب، وتأرجح الأمل ولم تنكشف لهم إحدى العلامات الدالة . حينذاك اعترى اليأس أصغرهم فانتابته نوبة بكاء شديدة، وهاجمته رجفة اقشعر لها بدنه كله، وقد غامره الشك في جدوى سعيهم وإدراكه لما قد أصبح على وشك الإقبال عليه من الهلاك المبين .. هنا أقبل الشيخ مطمئناً، مهدئاً

لروعه، باعثاً في نفسه شيئاً من الأمان والطمأنينة بينما كان أوسطهم يئن مهرولاً في خطواته في اتجاهات شتى لا يكاد يلوي على شئ فيسقط ويقوم ليسقط ثانية ،وهو يملأ الكون بصراخه: «أين تلك العلامات الدالة ؟ ! ! أيتها السماء! ! أما من علامة واحدة فقط؟ ! !»

وتبرق السماء وترعد ويرجع الفضاء الرحب صراخه كأنه العويل أو العواء فيملأ قلبيهما معاً فزع عظيم، إذ يصور لهما ذاك الوحش الرابض وهو يدنو رويداً رويدا وفي عزمه أن يقذف بهما إلى جوفه الرهيب .. وينحدر السيل ويحار الشيخ أيهما أحق بأن يبعث في قلبه بعض أمان النفس الملتاعة .. ذاك الفتى الغض الذي يرنو بناظريه إلى مالا يدركه أم ذلك الشاب الذاهل الذي يأمل فيما لا يمكنه ملاقاته إلا بعد أن يقتل في نفسه الخائرة ذلك الوحش الفاغر فاه لكنه – هكذا سريعاً – يرهب موقفه هذا فينكص ويرتد .. وتشتد حيرة الشيخ الفاني وتتنازعه لواعج الألم ولا يجد مستقراً لكل ما يضطرب داخله سوى أن يجد في سعيه منفصلاً عن رفيقيه فيما ينظران إليه من بعيد بعينين حزينتين! ! !

قنص

أحلم هذا أم حقيقة؟!

السائرون من حولي يمشون على أقدامهم ... عجبًا ...

كل شيء من حولي مقلوب .. كل البشر ، السيارات ،

المباني و حتي الأشجار .. كل شيء.. ماذا أصاب

مدينتي؟! الجميع ينظر إليّ بعيون تبث مشاعر متباينة

تتراوح بين الإشفاق و السخرية و استمطار اللعنات.

فجأة سمعت صوتا حادا يصرخ آمرا:

_ اقبضوا على المارق ... لا تفلتوه .

هكذا وجدت نفسي مطاردا أحاول النجاه بحياتي ..

وصلت إلى شقتي وقلبي يكاد ينخلع من صدري من فرط الإعياء و الرعب.

عندما أغلقت الباب بالمفتاح عادت إليَّ بعض الطمأنينة ولكنها سرعان ما تبددت عندما وجدت شقتي خالية تماما من أي قطعة أثاث.

ما أدهشني أن الحوائط قد استحالت إلى مرايا ضخمة وكذلك الأسقف..ما زاد دهشتي أنني وجدتني متباينا، فمرة واقفا على رأسي كما الآخرون ،مرة ثانية معتدلا ومرة ثالثة لا أجدني.

فزع يجتاحني .. دوي الصمت ثقيلاً كما الموت .. بخلاف تردد أنفاسي اللاهثة أسمع وقع أقدام ثقيلة متحفزة كانت تسعى ورائي منذ دقائق ترتقى درجات السلم في تؤدة وثقة.

عبور

تفتحت حواسي على أنات المظلومين :

أمـي تشـكو جـور جدتـي الـتي هـي أمهـا لأنهـا أوقعـت بهـا بـين براثـن زوج جائـر الـذي هـو أبـي .

أبـي يشـكو جـور جـدي الـذي هـو أبـوه لأنـه ألزمـه الـزواج مـن ابنـة أختـه الـتي هـي أمـي .

أمي وأبي يشكوان جور جيرانهما الذين لا تؤمن عواقبهم.

الجـيران يشـكون جيرانهـم الذيـن يشـكون جـور أولـي الأمـر الذيـن لا يأبهـون بأناتهـم .

أولـو الأمـر يشـكون جـور أولـي أمـر آخريـن يقبعـون خلـف البحـار والمحيطـات .

★★★

ذات يـوم غائـم اسـتيقظ الجميـع .. أمـي و أبـي و الجـيران و جيرانهـم و أولـو أمرنـا علـى صهيل جـواد يمتطي صهوته فارس ممشـوق القـوام .. قـوي الشـكيمة يدعونـا أن نتبعـه.. إلى أيـن ؟ لم يـدر أحـد .

★★★

بعـد رحلـة عنـاء وصـل بنـا فارسـنا إلى نهـر عريـض مهيـب يمتـد بـين ضفتيـه جسـر أكثـر مهابـة، رغـم كونـه يـكاد أن يكـون متداعيـا ومنـذرا عابـره بخطـر محـدق .

★★★

صاح فارسنا في صوت جهوري :

_ من يرد العدل عليه أن يعبر الآن وليس غدا .

★★★

نظـرت أمـي إلى أبـي في وجـل ونظـر أبـي إلى أمـي في ذعر،ونظـرا همـا الاثنـان في توجـس إلى جيراننـا الذيـن نظـروا إلى جيرانهـم في يـأس ونظـر جيرانهـم في إشـفاق إلينـا جميعـا.

★★★

ساد صمت ثقيل لبرهة من الزمن لم ندر أطالت أم قصرت .. ثم صاح أحدهم بعد أن استجمع بقايا شجاعته مستفسرا:

ـــ و ماذا عن تلك التماسيح التي تسبح تحت الجسر تنتظر وليمتها ؟! كيف نأمن العبور آمنين على هذا الجسر المتداعي ؟!

صاح الفارس منبهاً الجميع :

ـــ من يُرِد العدل لا يأبه بالأخطار .

★★★

طال الصمت ثم استطال بعمر الزمن الفائت حين انشقت الصفوف عني– ولم أبلغ الحُلم بعد – أرنو إلى الجسر بعينين مطمئنتين .. واثق الخطى .. لا يوقفني شيء.

مناجاة

أيها القدير ..

ويل لي إذا لم أتجاوز باب رحمتك .. الهلاك قادم لا محالة .. ما من أمل يبقى إلاك .. فاغفر.

★★★

_ أيها الآخر .....

قل ما شئت في مسبة عرضي فأنت على حق .. وأنا على باطل .

أنا هاتك الأعراض و أنا الديوث .. أنا القاتل وأنا المقتول .. أنا الجاني و أنا المجني عليه .

★★★

_ يا أبانا الذي في السموات .....

لا أمل إذن يُرتجى ولا شفاعة تُنال إذا لم تحنو و تغفر و لكن كيف السبيل ؟!

هكذا بدأ السفر الأكبر..إنس وجن..مُكبلين بالآثام والخطايا.. تعمر قلوبهم بقايا إيمان وتتعلق عيونهم بالأمل في الغفران.

★★★

بدأ السفر منذ الأزل ولم يصل بعد إلى مبتغاه...ساروا يجوبون الآفاق ويتجاوزون المفاوز..يعبرون الأنهار والمحيطات ..يرتقون الجبال ويهبطون الوديان..حفاة ..عراة..تنطق وجوههم بالجزع وتفيض عيونهم بالدمع ويتشبثون بالأمل بحثا عن الخلاص.

ختام

" ليست الحياة البشرية سوى صراع بين الانفصال والاتحاد أو بين الحياة والموت" .

الفيلسوف " Rank"

الكاتب فى سطور :

- مؤلف درامى بالإذاعة والتليفزيون
- حاصل على المركز الأول لمسابقة « رامتان » فى القصة وعلى الجائزة التشجيعية فى نفس المسابقة .
- نُشرت أعماله فى العديد من المجلات والجرائد مثل إبداع ، أخبار الأدب ، القاهرة وغيرها

صدر للكاتب :

- نشيد الختام	مجموعة قصصية ٢٠١٤

تحت الطبع :

- الأحباء يرحلون	شعر ونثر
- مات الملك .. عاش الملك	مسرحية

الفهرس

مفتتح ٥
سر الحياة ٦
مصير ٧
ترقب ٨
ريبة ١٠
شرنقة ١٢
صمت الحملان ٢٢
الملك والحلم ٢٤
قصة بلا عنوان ٣١
الدقاق ٣٨
اللحاد ٤٥
لوثة ٥١
غيلة ٥٣
شعاع من الماضي ٥٦
القلب الوحيد ٦٠

أحلـم بالأمـوات ٦٦
أحدهـم ٧٢
إحداهـن ٧٦
سـعي ٧٩
قنـص ٩٠
عبـور ٩٢
مناجـاة ٩٥
ختـام ٩٧
الكاتـب فـى سـطور ٩٩